



إنجيل يوحنا: دليلك الشامل للتلميذ الحبيب

الفهرس

- 2 أولاً: مقدمة عن إنجيل يوحنا
- 7 ثانياً: الدليل على تأليف يوحنا بن زبدي وردود على الاعتراضات
- 8 من هو التلميذ الذي أحبه يسوع؟
- 9 أي نوع من الكتب؟
- 10 تاريخية وجغرافية الإنجيل الرابع
- 12 اتساق معلومات يوحنا مع السياق التاريخي
- 14 الأشخاص في إنجيل يوحنا
- 16 مشكلتان
- 19 يوحنا زبدي
- 21 خياران: صواب أو خطأ
- 23 ثالثاً: هل كانت الأناجيل مجهولة العناوين؟
- 24 نظرية الأناجيل مجهولة الاسم
- 26 لا توجد مخطوطات للأناجيل بدون اسم/عنوان
- 29 سيناريو مجهولية كُتاب الأناجيل غير معقول
- 32 لماذا تنسب مرقس ولوقا إلى غير شهود العيان؟

أولاً: مقدمة عن إنجيل يوحنا

الإنجيل الرابع، مثل الأنجيل الثلاثة الإزائية، مجهول الهوية: فهو لا يحمل اسم كاتبه. العنوان "حسب يوحنا" هو تسمية ملحقه به عندما جمعت الأنجيل الأربعة معاً وبدأوا في الانتشار كمجموعة واحدة، وذلك لتمييزه عن رفقاءه الثلاثة.¹ من الجدير بالذكر أنه في حين أن الأنجيل الأربعة الكنسية يمكن أن تُنشر بشكل مجهول، فإن الأنجيل الملفقة التي بدأت تظهر منذ منتصف القرن الثاني فصاعداً ادعت (زوراً) أنها كتبها رسل أو أشخاص آخرون مرتبطون ارتباطاً وثيقاً بالرب.

وبمجرد أن يُعزى هذا الإنجيل إلى "يوحنا" إلى الوراء، يُفترض بانتظام أن يوحنا المعني كان يوحنا بن زبدي، أحد الاثني عشر. يوجد بالفعل دليل إيجابي على "تلميذ الرب" الآخر الذي يُدعى يوحنا،² الذي كان يعيش (على الأرجح) في مقاطعة آسيا الرومانية التي هاجر إليها يوحنا بن زبدي، وفقاً للتقاليد، من فلسطين في الجزء الأخير من القرن الأول؛ لكن لا أحد في العصور القديمة، بقدر ما نستطيع أن نقول، نسب الإنجيل الرابع إلى يوحنا الآخر هذا بدلاً من يوحنا ابن زبدي. يُشار إلى يوحنا الآخر هذا من قبل بابياس، أسقف هيرابوليس (حوالي 130 م)، باسم "يوحنا الشيخ" (أو "الأكبر") - "الشيخ" هو تسمية مُنحت بشكل خاص في ذلك الوقت للقادة المسيحيين من الجيل الذي تلا الرسل.

تم تقديم سلسلة متحدة المركز من الحجج لتحديد هوية المبشر الرابع مع يوحنا ابن زبدي في شكل كلاسيكي من قبل ويستكوت B.F. Westcott. ووفقاً له، تشير الأدلة الداخلية للإنجيل إلى أن الإنجيل كتبه (أ) يهودي فلسطيني، (ب) شاهد عيان، (ج) التلميذ الذي أحبه يسوع، (د) يوحنا بن زبدي.³

من الواضح أن المبشر كان يهودياً. المناظرات بين يسوع والزعماء الدينيين في أورشليم حول النقاط الدقيقة للتفسير القانوني اليهودي، والتي أعيد إنتاجها في الفصول المركزية من الإنجيل، لم يكن من الممكن فهمها أو تسجيلها في تلك الأيام بواسطة مؤلف لم يكن هو نفسه واحداً من "اليهود". صحيح أن الإنجيلي يتحدث كثيراً عن "اليهود" بطريقة توحى بأنه يناهض نفسه عنهم، ولكن عندما يفعل ذلك، فإنه يقصد بانتظام "اليهود الآخرين" (على عكسه هو ورفاقه) أو غير ذلك، من حين لآخر، اليهود الجنوبيين (متميزين ومختلفين عن الجليليين). كما يؤكد العرض أدناه مراراً وتكراراً، من المهم دائماً التأكد من هوية "اليهود" تحديداً في كل مكان يظهر فيه التعبير.

يبدو واضحاً أيضاً أن المبشر كان (في الأصل على الأقل) يهودياً فلسطينياً. إذا كان الإنجيل قد نُشر، كما يبدو محتملاً، في مقاطعة آسيا بعد حوالي ستين عاماً من الأحداث التي يرونها، لا ينبغي أن نتفاجأ من أنه لا يعكس فقط الموقف الذي وقعت فيه تلك الأحداث ولكن أيضاً الموقف الذي تم فيه تسجيلها ونشرها بشكل نهائي. بمناظر خدمة يسوع التي يصفها، لا سيما تلك الموجودة في أورشليم وما حولها -

¹ هذا تعليق ف. ف. بروس وسيتم فحص هذا التعليق جيداً في جزء الدليل المخطوطي تحت عنوان "هل كانت الأنجيل مجهولة العناوين"

² تفسير بابياس لأقوال الرب، اقتبس من قبل يوسابيوس، تاريخ الكنيسة 3. 39. 4. انظر F. F. Bruce, Men and Movements in the Primitive Church (Exeter 1979), Pp. 132-136.
³ B. F. Westcott, The Gospel according to St. John (London 1880), pp. xxiv f. See F. F. Bruce, 'Johannine studies since Westcott's Day', contributed to the 1966 reprint of Westcott's The Epistles of St. John (London 1892) issued by the Marcham Manor Press, Appleford, pp. Ivii-lxxvi.

حتى لو كان من المبالغة القول إنه يعرف أورشليم "مثلما يعرف سائق تاكسي محطة يوستون في مدينة لندن".⁴

لقد ذهب عدد قليل من العلماء إلى أبعد من ذلك في الحفاظ على السمة الفلسطينية للإنجيلي وإنجيله، بحجة أنه في حين أن الإنجيل (مثل جميع كتب العهد الجديد الأخرى) قد جاء إلينا باللغة اليونانية، إلا أنه تمت كتابته في الأصل باللغة الآرامية لغة العامة من اليهود الفلسطينيين.⁵ هذا غير محتمل تمامًا. بطبيعة الحال، إذا كان يسوع وتلاميذه يتحدثون باللغة الآرامية بشكل معتاد، فقد نتوقع أن نجد الآرامية في الشكل اليوناني لأقوالهم (تمامًا كما تعكس اللغة الإنجليزية التي يتحدث بها سكان المرتفعات الإسكتلندية أو شعب ويلز مصطلحات خطابهم الكلتية Celtic الأصلي)؛ وهذا في الواقع نجده في الأناجيل الأربعة. ولكن ما لم يكن هناك دليل موضوعي صريح (مثل جزء من النص الآرامي للإنجيل الذي لا يحمل أي علامة على أنه ترجمة من اليونانية)، فلا يوجد سبب للشك في أن إنجيل يوحنا في حد ذاته كان تكوينًا يونانيًا منذ البداية.

إن حجة الأصل الفلسطيني لهذا الإنجيل لم تكن متاحة لعلماء الأجيال السابقة وقد تم تقديمها من خلال اكتشاف ودراسة الوثائق الصادرة عن المجتمع الديني الذي كان مقره في قمران، شمال غرب البحر الميت قبل حوالي قرنين من الزمان قبل عام 70 م.⁶ لا داعي للمبالغة في أهميتها (من المفيد أن نتذكر أن كل اكتشاف جديد تقريبًا في التاريخ الديني للشرق الأدنى في الفترة ذات الصلة قد تم الترحيب به في يومه باعتباره مفتاح حل مشكلة الإنجيل الرابع).⁷ ومع ذلك، توجد بعض الصلات بين الشكلين الأدبيين. تعابير يوحنا المميزة مثل "نور الحياة"، "أبناء النور"، "فعل الحقيقة"، "أعمال الله" لها موازيات في كتابات قمران. يرى كل من يوحنا ورجال قمران الكون من منظور الضوء والظلام المتباينين بشدة، والخير والشر، والحقيقة والباطل. ولكن حتى لو بدا أن يوحنا "يستمد من مخزون مشترك من المصطلحات والأفكار التي كانت معروفة جيدًا لدى الإسينيين"،⁸ لا ينبغي التغاضي عن العنصر الجديد في استخدامه لهذه المصطلحات. عندما يتحدث عن "نور الحياة"، فهو لا يفكر في أفكار مجردة، ولا يهتم بشكل أساسي بمجموعة تعاليم أو جماعة مقدسة؛ بالنسبة له، فإن النور الحقيقي هو نفسه يسوع المسيح، الكلمة المتجسد. و. ف. أولبرايت، W. F. Albright، أحد العلماء الأوائل الذين لفتوا الانتباه إلى صلات قمران في الإنجيل الرابع، شدد بحكمة على "الهوة الواسعة بين تعاليم الأسينيين وأساسيات تعليم يوحنا": وقد ذكر أربعة من هذه الأساسيات، تتعلق بوظيفة المسيح، وخلص الخطاة، وخدمة الشفاء وإنجيل الحب.⁹

هل كان الإنجيلي شاهد عيان؟ يوجد في مكان واحد ادعاء أكيد وصريح بسلطة شهود العيان. هذا هو المكان الذي يرتبط فيه طعن جنب يسوع بعد موته على الصليب (يوحنا 19: 35): "الَّذِي عَائِنَ شَهِدَ" (أي هذه شهادة شاهد عيان). لا يُقال من هو شاهد العيان - هل هو الإنجيلي نفسه أم شخص يعتمد الإنجيلي على شهادته. مرة أخرى، في خاتمة الإنجيل قيل إن "التلميذ الذي أحبه يسوع" هو الشخص الذي "التلمذ" على

⁴ A. R. Short, The Bible and Modern Research (London 1931), p. 178.

⁵ E.g. C. F. Burney, The Aramaic Origin of the Fourth Gospel (Oxford, 1922); J. A. Montgomery The Origin of the Gospel of St John (Philadelphia, 1923).

⁶ See the essays collected in John and Qumran, ed. J. H. Charlesworth (London 1972).

⁷ في الآونة الأخيرة، حتى سجلات إيبلا في سوريا (الألفية الثالثة قبل الميلاد) دخلت الخدمة؛ انظر M. Dahood, 'Ebla, Genesis and John' The Christian Century, April 15, 1981, pp. 418-421.

⁸ W. F. Albright, 'Recent Discoveries in Palestine and the Gospel of St John' in The Background of the New Testament and its Eschatology ed. W. D. Davies and D. Daube (Cambridge 1954), p. 169.

⁹ المرجع نفسه، 170.

الَّذِي يَشْهَدُ بِهِذَا وَكَتَبَ هَذَا" (21: 24). يمكن فهم البيان بأنه "كَتَبَ هَذَا" على أنه يعني أنه تسبب في كتابتها، وأن شهادته كانت أساس هذا السجل؛ لكن القول بأنه "يَشْهَدُ" لهم يتضمن شهادة مباشرة. "هذه الأشياء" ربما لا تشمل فقط الحادثة المذكورة في الإصحاح 21 ولكن الأحداث الأخرى المسجلة في الجسم الرئيسي للإنجيل. على وجه الخصوص، يقال أن التلميذ الحبيب كان حاضراً في العشاء الأخير (13: 23)، عند الصليب (19: 26 وما يليه) وفي القبر الفارغ (20: 10-2)؛ يمكن بسهولة الاستدلال على أن التلميذ الحبيب هو السلطة القائمة وراء تلك المراحل من روايات الآلام والقيامة، إن لم يكن أكثر من ذلك.

تم مناقشة تحديد هوية التلميذ الحبيب مع يوحنا ابن زبدي على أسس سلبية وإيجابية. على الجانب السلبي هو عدم وجود اسم يوحنا من هذا الإنجيل (أو اسم أخيه يعقوب في هذا الصدد)، بصرف النظر عن البيان في بداية خاتمة الإنجيل بأن "ابني زبدي" كانا من بين التلاميذ السبعة الذين التقوا بالرب القائم من بين الأموات على بحيرة الجليل (يوحنا 21: 2). إن عدم وجود أي ذكر ليوحنا أو يعقوب هو أكثر ما يلفت الانتباه عندما ينظر المرء إلى الدور الذي لعبه أعضاء آخرون من الاثني عشر بالاسم في هذا الإنجيل - ليس فقط أعضاء بارزين مثل سمعان بطرس وأندراوس ولكن أعضاء أقل شهرة مثل فيلبس وتوما ويهوذا "ليس الإسخريوطي".

على الجانب الإيجابي هو وجود التلميذ الحبيب في العشاء الأخير. إذا كان من المناسب أن نستنتج من مرقس 14: 17 (والمتوازيات الإزائية) أن الاثني عشر فقط كانوا حاضرين مع يسوع في العشاء الأخير، فإن التلميذ الحبيب كان أحد الاثني عشر - بالتأكيد ليس بطرس (الذي تميز عنه في يوحنا 13: 24) وربما لم يذكر أي من التلاميذ الآخرين بالاسم في يوحنا 13-17. إن تسميته المتكررة بـ "التلميذ الذي أحبه يسوع" يعني تجنباً متعمداً لاسمه الشخصي. هكذا أيضاً في الخاتمة، حيث من الواضح أنه واحد من التلاميذ السبعة الذين ظهروا في حادثة الظهور على ضفاف البحيرة، يتميز صراحةً عن بطرس (يوحنا 21: 7، 20) وبإشراك أيضاً كل من توما وثنائيل؛ يجب أن نفكر فيه حينئذ كأحد أبناء زبدي (الذين لم تُذكر أسمائهم) أو كأحد التلاميذ الآخرين المذكورين في يوحنا 21: 2 ولكن لم يذكر اسمه. بقدر ما يتعلق الأمر بأبناء زبدي، لا يمكن تحديده مع يعقوب: تم قتل يعقوب على يد هيرودس أغريباس الأول، وفقاً لأعمال الرسل 12: 1، خلال فترة حكمه القصيرة كملك على اليهودية (41-44 م)؛ لم يكن الأمر بالنسبة ليعقوب أن الشائعة انتشرت في وقت لاحق "أن ذلك التلميذ لن يموت" (يوحنا 21: 23).

على مائدة العشاء (يوحنا 13: 24)، عند القبر الفارغ (يوحنا 20: 2-10) وعلى ضفاف البحيرة (يوحنا 21: 7، 20) يرتبط التلميذ الحبيب ببطرس بشكل خاص؛ في الأيام الأولى للكنيسة ظهر يوحنا مراراً وتكراراً كرفيق لبطرس (أعمال الرسل 3: 1-4؛ 23؛ 8: 15-25؛ راجع أيضاً غلاطية 2: 9، حيث يرتبط بطرس ويوحنا مع يعقوب شقيق الرب باعتبارهما "أعمدة" مجتمع أورشليم). في الإصحاحات الأولى من سفر أعمال الرسل، كان بطرس هو الشريك المهيمن إلى حد كبير لدرجة أن يوحنا هو نسبياً شخصية عادية بجانبه. في الواقع، لدينا القليل جداً من المعلومات في العهد الجديد عن يوحنا ابن زبدي كفرد مسمى. وصفه يسوع هو وشقيقه يعقوب بأنهما بوا نرجس، وفسرا على أنهما يعنيان "ابني الرعد" (مرقس 3: 17). قد نخمن أنه تم وصفهم على هذا النحو بسبب طبيعتهم المتهورة. لقد كان يعقوب ويوحنا من اقترحا إطلاق النار من السماء لأكل السامريين غير المرحبين (لوقا 9: 54)؛ كان يوحنا هو الذي أخبر كيف حاول هو ورفاقه إيقاف رجل كان يخرج الشياطين باسم يسوع لأنه لا ينتمي إلى شركتهم (لوقا 9: 49). عانى يعقوب ويوحنا من استياء زملائهما التلاميذ في إحدى المناسبات من خلال الظهور كأنهما يسرقان تقدم عليهم في محاولة لتأمين مكانة تفضيلية لأنفسهم في ملكوت المسيح الآتي (مرقس 10: 35-35).

45). كانا مع بطرس ينتميان إلى مجموعة داخلية من ثلاثة تلاميذ سُمح لهم بعلاقة وثيقة بشكل استثنائي مع سيدهم (مرقس 5: 37؛ 9: 23؛ 14: 33).

إن معرفتنا الضئيلة عن يوحنا بن زبدي تجعل من الصعب السير مع عالم يحظى باحترام كبير ويرى أنه بـ "يقين أدبي" أن الإنجيل الرابع لم يكتبه يوحنا¹⁰ - ما لم يكن في الواقع يقيناً أدبياً أنه لم يكتب من قبل أي شاهد عيان. الباحث المشار إليه (سي. ك. باريت) يقترح أن الإنجيلي (ليس هو نفسه شاهد عيان) كان تلميذاً للرسول يوحنا، أحد أولئك الذين جمعهم حول نفسه بعد هجرته من فلسطين إلى أفسس.¹¹ إنه ليس متهوراً لدرجة أنه يحاول تحديد هذا التلميذ مع "يوحنا الشيخ" الذي ذكره بابياس، على الرغم من أن هذا التحديد قد اقترحه بعض دارسي الإنجيل الرابع. نحن لا نعرف ما يكفي عن يوحنا الشيخ لنربطه بشكل وثيق إما بالرسول الذي يحمل نفس الاسم أو بالإنجيل الرابع.¹²

إن شهادة شاهد العيان التي تم تمييزها في الإنجيل هي بالأساس شهادة التلميذ الحبيب، وبالتالي شهادة الرسول يوحنا (إذا كان من الممكن إثبات هويته مع التلميذ الحبيب). ولكن إذا كان أحد تلاميذه هو الذي كتب الإنجيل نيابة عنه، فقد يكون أيضاً شاهد عيان على بعض الأحداث المسجلة. لقد قيل أنه كان أورشليمياً. هل كان، على سبيل المثال، التلميذ "المعروف لدى رئيس الكهنة" (يوحنا 18: 15 وما يليه)؟ هل كان، علاوة على ذلك، هو الشاهد لطعن جنب يسوع (يوحنا 19: 35)؟ طرح هذه الأسئلة أكثر أماناً من تقديم الإجابات.

يقترح البروفيسور باريت أن الإنجيلي كان مؤلف الإصحاحات العشرين الأولى من الإنجيل وأن الخاتمة (الإصحاح 21) قد أضيفت عندما تم تحرير العمل للنشر - على الأرجح من قبل المجموعة التي قالت "وَنَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ حَقٌّ" يوحنا 21: 24. هذه المجموعة - مدرسة أو مجتمع يوحنا - لعبت بالتأكيد دوراً فيما يتعلق بالإنجيل.

إذا كان "تقليد يوحنا"، كما يُدعى، محفوظاً في المقام الأول في ذكرى رجل واحد، التلميذ الذي أحبه يسوع، فربما قال بالفعل، كما قال ب. هـ. مينود، "la tradition, c'est moi" ("أنا التقليد").¹³ ومع ذلك، سيكون من الخطأ تصويره على أنه يعتز بذكرياته في العزلة لعدة عقود. يُعلق جيه إيه تي روبنسون، الذي كان لفترة طويلة مدافعاً قوياً عن التأليف الرسولي للإنجيل، أكثر بكثير من أهمية هامشية على شركاء يوحنا. تقليد يوحنا، في رأيه، "لم يخرج فجأة هكذا حوالي عام 100 م"؛ بالأحرى، هناك "استمرارية حقيقية، ليس فقط في ذكرى رجل عجوز واحد، ولكن في حياة مجتمع مستمر، مع الأيام الأولى للمسيحية".¹⁴

إن التقليد الذي تم الحفاظ عليه ونقله بهذه الطريقة يشكل "المصدر" الوحيد المعروف للإنجيل الرابع. سيكون من حماقة إنكار أن الإنجيلي عرف الأناجيل الأخرى؛ على الأقل ربما كان على دراية

¹⁰ C. K. Barrett The Gospel according to St John (London 1978), p. 132.

¹¹ المرجع نفسه، 133 وما يليه.

¹² عندما أطلق مؤلف كتابي يوحنا الثانية والثالثة على نفسه اسم "الشيخ" في كتابة هذين الرسلتين، فمن المحتمل أنه يستخدم التسمية بمعنى مختلف عن بابياس وغيره من الكتاب المسيحيين في القرن الثاني. يكتب للمسيحيين الذين كانوا أصغر منه سناً بكثير بحيث يمكنه مخاطبتهم على أنهم "أولاده الصغار" ويشير إلى نفسه بمصطلح المودة الذي اعتادوا استخدامه في الحديث عنه.

¹³ P. H. Menoud L'évangile de Jean d'après recherches récentes (Neuchatel/Paris 1947) s. P. 77:

¹⁴ J. A. T. Robinson, 'The New Look on the Fourth Gospel' in Twelve New Testament Studies (London 1962), p. 106.

ببعضهم. لكنه لم يعتمد عليهم كمصادر.¹⁵ لا يزال هناك سبب أقل لافتراض مصادر مكتوبة أخرى ربما يكون قد استند إليها. ميز رودولف بولتمان مصدر المعجزات (العلامات) ومصدر الأقوال.¹⁶ لكن المعجزات والخطابات مترابطة للغاية بحيث لا يمكن تصنيفها إلى مصادر منفصلة.

إن التقليد التاريخي الذي احتفظ به التلميذ الحبيب ونقله بين رفاقه مستقل عن تلك التقاليد الممثلة في الأناجيل الإزائية، ولكنه ليس أقل أصالة.¹⁷ إن تتبع تاريخ "مجتمع التلميذ الحبيب" ليس جزءًا من هدفنا الحالي؛¹⁸ يكفي القول أنه لا يبدو أن له صلات وثيقة بكنيسة أفسس العظيمة. في الجزء الأول من القرن الثاني، كانت هذه الكنيسة لا تزال تُصنف على أنها تأسس بولسي؛ في وقت لاحق فقط ادعت أن يوحنا هو رسولها بامتياز.

لم يتم الحفاظ على التقليد التاريخي ببساطة من قبل يوحنا وتلاميذه. شكلت أقوال يسوع وأحداث خدمته التي كرستها الأساس لمزيد من التأمل والتعليم والوعظ؛ لقد ازدهرت كتقليد حي ومتنامي، لكنها ظلت وفية لأساسها التاريخي.

في ترتيب وتسجيل هذا التقليد، يُظهر الإنجيلي مهارة رائعة بطرق مختلفة، وليس أقلها في تصوير الشخصية. المرأة السامرية (الإصحاح 4) ورجل أورشليم الذي كان أعمى في السابق (الإصحاح 9) هما شخصيتان لا يمكن نسيانهما؛ ونحن مدينون بالكامل تقريبًا لهذا الإنجيلي بالصورة التقليدية الحية لشخصية مريم المجدلية. ناقش العلماء شكل الحوار في هذا الإنجيل وميزوه عن الشكل الموجود في الأناجيل الأخرى،¹⁹ لكن ربما تكون الشهادة الأكثر بروزًا على الواقعية الدرامية التي تحملها دوروثي سايرز عندما قالت، فيما يتعلق بتسلسل مسرحياتها الإذاعية، *الرجل المولود ليكون الملك*، أنه عندما يكون يوحنا هو السلطة في أي مشهد، "مهمة الكاتب المسرحي سهلة. إما أن يكون الحوار موجودًا -حيًا وشخصيًا على كلا الجانبين- أو يمكن إعادة بناء جزء المحاور بسهولة من الردود المقدمة".²⁰

¹⁵ P. Gardner-Smith St John and the Synoptic Gospels (Cambridge 1938).

¹⁶ R. Bultmann The Gospel of John (Oxford 1971), pp. 6-9 et passim; cf. R. T. Fortna The Gospel of Signs (Cambridge 1970).

¹⁷ C. H. Dodd Historical Tradition in the Fourth Gospel (Cambridge 1963).

¹⁸ R. E. Brown The Community of the Beloved Disciple (London 1979); also O. Cullmann The Johannine Circle (London 1976); R. A. Culpepper The Johannine School (Missoula 1975).

¹⁹ C. H. Dodd, 'The Dialogue Form in the Gospels' BJRL 37 (1954-55), pp. 54-67.

²⁰ D. L. Sayers The Man Born to be King (London 1943), pp. 33 ff.

انظر أيضا تعليقاتها، المقتبسة في ص 409 (في يوحنا 21: 24)، فيما يتعلق بادعاء شاهد العيان لهذا الإنجيل.

ثانياً: الدليل على تأليف يوحنا بن زبدي وردود على الاعتراضات

يدعي كاتب الإنجيل الرابع أنه شاهد ليسوع. يصف في روايته للصلب كيف كسر الجنود أرجل الضحايا الآخرين قبل أن يكتشفوا أن يسوع قد مات بالفعل، وعندها "طعن جندي جنبه بحربة". ثم يضيف الكاتب: "وَالَّذِي عَايَنَ شَهِدَ، وَشَهِادَتُهُ حَقٌّ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ لِتُؤْمِنُوا أَنْتُمْ" (يو 19: 35).

يوضح السياق أن التلميذ الوحيد القريب من مكان الصلب كان "التلميذ الذي أحبه [يسوع]" (يو 19: 26). ورأى ما حدث وشهد على ذلك. علاوة على ذلك، يؤكد لقائه أن شهادته صحيحة ويمكن تصديقها.

الحلقة الأخيرة من هذا الإنجيل هي حوار بين يسوع وبطرس، حيث يسأل بطرس عما سيحدث لـ "التلميذ الذي كان يسوع يحبه" الذي كان يتبعهما (21: 20-21). يتابع المؤلف: "هَذَا هُوَ التِّلْمِذُ الَّذِي يَشْهَدُ بِهَذَا وَكَتَبَ هَذَا. وَنَعْلَمُ أَنَّ شَهِادَتَهُ حَقٌّ" (21: 24).

هذا ما كتبه "التلميذ الذي أحبه يسوع"، والذي كان حاضراً مع يسوع وبطرس على بحر طبرية عندما أظهر يسوع نفسه حياً لتلاميذه للمرة الثالثة منذ صلبه (يو 21: 14). يريد كاتب هذا الكتاب أن نفهم أنه "التلميذ الذي أحبه يسوع".

من هم إذن الذين يشار إليهم بـ "نحن"، الذين يعلمون أن شهادة التلميذ الحبيب صحيحة؟ يُقال أحياناً أن هؤلاء الأشخاص مسؤولون في الواقع عن كتابة الإنجيل الرابع. لكن النص ينص بوضوح على أن "هذا هو التلميذ. . . الذي كتب هذه الأشياء"، في إشارة إلى التلميذ الذي أحبه يسوع. أولئك الذين يوصفون بـ "نحن" يصادقون على ما هو مكتوب، لكنهم ليسوا المؤلفين. إذن من هم؟

تم العثور على دليل هويتهم في بداية كتاب يوحنا - "وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ" (1: 14). عندما قال فيما بعد، "هَذِهِ بَدَايَةُ الْآيَاتِ فَعَلَهَا يَسُوعُ فِي قَانَا الْجَلِيلِ، وَأَظْهَرَ مَجْدَهُ، فَأَمَنَ بِهِ تَلَامِيذُهُ" (يو 2: 11)، فمن الواضح، بما أن كلمة "مجد" موجودة في كلا المقطعين، فإن "تلاميذه" في الإصحاح الثاني هم "نحن" في الإصحاح الأول. كلمة "نحن" تمثل التلاميذ. الذي رافقوا يسوع وشهدوا آياته (راجع يو 20: 30).

ومع ذلك، يشير هذا الكتاب إلى أن المجموعة استمرت وأن العديد من الأشياء التي قالها وفعلها لم تُفهم إلا بعد أن تركهم يسوع. بعد حادثة تطهير الهيكل يعلق المؤلف:

"فَلَمَّا قَامَ مِنَ الْأَمْوَاتِ، تَذَكَّرَ تَلَامِيذُهُ أَنَّهُ قَالَ هَذَا، فَأَمَنُوا بِالْكِتَابِ وَالْكَلَامِ الَّذِي قَالَهُ يَسُوعُ." (يو 2: 22).

وبالمثل يلاحظ بعد دخول أورشليم:

"وَهَذِهِ الْأُمُورُ لَمْ يَفْهَمَهَا تَلَامِيذُهُ أَوَّلًا، وَلَكِنْ لَمَّا تَمَجَّدَ يَسُوعُ، حِينَئِذٍ تَذَكَّرُوا أَنَّ هَذِهِ كَانَتْ مَكْتُوبَةً عَنْهُ، وَأَنَّهُمْ صَنَعُوا هَذِهِ لَهُ." (يو 12: 16).

من خلال الكتابة في هذا السياق، يقصد المؤلف أن نفهم أن خبرة التلاميذ مع الروح القدس بعد تمجيد يسوع (يو 7: 39) هي التي مكنتهم من "التذكر" (راجع يو 14: 26) ولـ "فهم" (راجع يو 16:

(15-13) ما قاله يسوع وعمله عندما كان معهم. علاوة على ذلك، في غياب يسوع، يجب أن تظل هذه المجموعة وفية لكلمته فيما سيكون بالنسبة لهم حالة نزاع وعداء (يو 16: 1-4؛ 17: 11-17).

باختصار، "نحن" في يوحنا 21: 24، الذين يعرفون أن شهادة التلميذ الحبيب صحيحة، هم هؤلاء التلاميذ الذين كانوا مع يسوع. لقد شهدوا آياته ورأوا مجده، ومنذ تمجيد يسوع، دخلوا في فهم أعمق ليسوع من خلال عمل الروح القدس في سياق المقاومة والألم. التلميذ الحبيب يتكلم كواحد منهم. يؤكدون حقيقة ما يقوله. بشكل ملحوظ، هناك نفس التفاعل بين الفرد والجماعة في الرسالة الأولى ليوحنا. من جهة تقول "نحن نكتب هذا" (1 يو 1: 4) ومن جهة أخرى "أنا أكتب هذا" (1 يو 2: 1). استنتاجنا هو أن كلا من إنجيل يوحنا ورسالته الأولى قد كتبهما فرد كان عضوًا في مجموعة متماسكة يمثلها والتي تحدث من أجلها.

من هو التلميذ الذي أحبه يسوع؟

إن مؤلف الكتاب، "التلميذ الذي أحبه يسوع"، لا يكشف بشكل مباشر عن هويته. من الواضح أنه كان معروفًا جدًا في دائرته لدرجة أنه لم يكن بحاجة إلى ذكر اسمه. ومع ذلك، هناك ثلاثة أدلة في النص تساعدنا في التعرف عليه.

أولاً، كان صديقًا حميمًا ليسوع. كان "أحد تلاميذه" الذي كان "متكئًا بالقرب من صدر يسوع" وكان بطرس قريبًا، وربما على الجانب الآخر بجانب يسوع (يو 13: 23-24). وقف هذا التلميذ أيضًا مع مريم، والدته يسوع، بالقرب من الصليب. كانت هذه هي ثقة يسوع في الرجل حتى أنه أصبح من الآن فصاعدًا يعامل مريم أم يسوع كأمه (يو 19: 26-27).

ثانيًا، كان زميلًا مقربًا لبطرس. رافق هذا التلميذ بطرس في صباح عيد الفصح للتحقق من قصة مريم المجدلية التي تفيد بأن الحجر قد أزيل عن مدخل القبر (يو 20: 2). تشير المناقشة في بحر طبرية إلى أنه كان صديقًا مقربًا ليسوع وسمعان بطرس (يو 21: 20-21).

ثالثًا، كان "التلميذ الذي أحبه يسوع" واحدًا من مجموعة من سبعة تلاميذ على شاطئ بحيرة طبريا، وهم سمعان بطرس، وتوما المسمى التوأم، وثثنائيل من قانا الجليل، وأبناء زبدي واثنين آخرين من تلاميذه (يو 21: 2).

نظرًا لأن "التلميذ الذي أحبه يسوع" كان صديقًا حميمًا ليسوع وزميلًا مقربًا لبطرس، فإن المرشح الأكثر ترجيحًا هو أحد "أبناء زبدي". لأن يعقوب بن زبدي استشهد حوالي 43 م (أعمال 12: 2)، كان الاستنتاج المنطقي هو تحديد هذا التلميذ المجهول مع يوحنا زبدي. ويتعزز الاحتمال بالغياب التام لأي إشارة إلى اسم "يوحنا" في هذا الإنجيل، باستثناء يوحنا المعمدان. وبالمثل، فإن كلمة زبدي ترد في هذا الكتاب فقط في المقطع المقتبس.

تذكر القائمة الأولى لأسفار العهد الجديد، القانون الموراتوري، المؤرخة حوالي 180-200، "إن الإنجيل الرابع هو كتاب يوحنا، أحد التلاميذ".²¹ إيريناوس، كاتب القرن الثاني وتلميذ بوليكرابوس، الذي تعلم من يوحنا زبدي، كتب: "أخيرًا، أعلن يوحنا تلميذ الرب، الذي اتكأ على صدره، مرة أخرى الإنجيل أثناء إقامته. في أفسس في آسيا".²²

رأي المؤلفين المسيحيين في القرن الثاني هو أن "التلميذ الذي أحبه يسوع" كان يوحنا زبدي وكتب الإنجيل الرابع.

أي نوع من الكتب؟

ما نوع الوثيقة التي كتبها يوحنا ولماذا كتبها؟ بما أن هذا هو الكتاب المقدس الذي يقول العديد من المبشرين المعاصرين أنه يجب قراءته أولاً، فإننا نفترض أنه إنجيلي في طبيعته. لكن هل هو كذلك؟ ماذا يقول المؤلف نفسه؟

وَآيَاتٍ أُخَرَ كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُوعُ قَدْأَمَ تَلَامِيذُهُ لَمْ تُكْتَبْ فِي هَذَا الْكِتَابِ. وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، وَلِكَيْ تَكُونُوا لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةً بِاسْمِهِ. (يو 20: 30-31).

الكلمات المترجمة هنا كـ "إذا آمنتم" ليس لها معنى "لكي تؤمنوا" في الأصل ولكن "استمروا في الإيمان".²³ وبالتالي، فإن ما كتبه يوحنا ليس في الأساس مسارًا إنجيليًا مصممًا للناس ليؤمنوا بيسوع. (لم يشير أبدًا إلى ما كتبه على أنه "إنجيل"). إنه "كتاب" مكتوب لمساعدة القراء المسيحيين على الاستمرار في الاعتقاد بأن يسوع هو المسيح، ابن الله.

لا يحتاج المؤلف إلى سرد قصة الإنجيل الأساسية مرة أخرى؛ قرائه، على ما يبدو، يعرفون ذلك بالفعل. كانت حاجتهم إلى فهم أوضح وأقوى لمن يكون يسوع. من أجل مساعدتهم، بعد أن نظر الكاتب في العديد من علامات معجزات يسوع، اختار سبعة لإظهار الهوية الحقيقية ليسوع. هذه العلامات المعجزة هي

- تحويل الماء إلى خمر في قانا الجليل (يو 1: 11-12)
- شفاء ابن نبيل كفرناحوم (يو 4: 46-54)
- شفاء الأعرج عند بركة أورشليم (يو 5: 1-9)
- إطعام الجموع في البرية (يو 6: 1-15)
- شفاء الأعمى في أورشليم (يو 9: 1-8)

²¹ Metzger, The Canon of the New Testament, 305-7.

²² Quoted in Eusebius, The History of the Church from Christ to Constantine, trans. G. A. Williamson (New York: Penguin, 1989).

²³ على الرغم من أن كلا القراءتين تحدثتا في المخطوطات القديمة، إلا أن القراءة المترجمة "استمروا في الإيمان" مفضلة لأنها ورنيت في المخطوطة الأولى ولها دعم جيد في مكان آخر.

- إقامة لعازر من الموت في بيت عنيا (11: 1-44)
- قيامة يسوع نفسه في اورشليم (20: 1-29)

لماذا اختار يوحنا هذه المعجزات دون غيرها؟

قد يكون أحد الأسباب أنها أحداث معجزة بشكل لا لبس فيه. بينما نتأمل في هذه الحوادث السبعة، ببساطة لا يوجد تفسير آخر ممكن. في كل حالة حدثت معجزة عظيمة. تم تحويل ما يقل عن 180 جالوتًا من الماء إلى نبيذ؛ شفي الصبي من بعيد. كان الرجل معوقًا منذ ثمانية وثلاثين عامًا. تمت إطعام خمسة آلاف رجل. ولد الرجل اعمى. كان لعازر قد دفن لمدة أربعة أيام ويسوع لمدة ثلاثة أيام. مثل هذه الحوادث لا يمكن أن تنسب إلى الخيال أو القوة النفسية!

سبب آخر هو أنه يبدو أن العديد من المعجزات قد تم اختيارها لمساعدة القراء على اتخاذ قرار بالتخلي عن ولائهم لليهودية وإلزام الجميع ليسوع. إن الماء الذي جعله يسوع خمرًا قد استُخدم في "طقوس التطهير اليهودية" (يو 2: 6). أتاحت معجزة الخبز والسمك فرصة ليسوع ليصف نفسه بأنه "الخبز الحقيقي" (يو 6: 32-33)، مقارنة بـ "المن في البرية" (يو 6: 31). تُظهر هذه "العلامات" أن يسوع يتمم العهد القديم وينهيها، لذا فإن المزيد من الانخراط في اليهودية كنظام ديني أصبح الآن بلا فائدة.

لذلك يستخدم المؤلف هذه المعجزات وما قاله يسوع عنها لإقناع القراء بصواب ما يقوله. السؤال بالنسبة لنا هو، هل يستخدم المعلومات التاريخية في مناقشة هذه القضية؟ الجواب هو أن البيانات الواردة في هذا الكتاب ذات طابع تاريخي وجغرافي، وأن هذا الكاتب، من بين الإنجيليين الأربعة، يقدم لنا معلومات تاريخية وطوبوغرافية على وجه التحديد أكثر من معلومات الأناجيل الثلاثة الأخرى مجتمعة. دعونا نتأمل في ثلاثة أنواع من البيانات التاريخية في الإنجيل الرابع.

تاريخية وجغرافية الإنجيل الرابع

يشير المؤلف عدة مرات إلى المباني والأماكن في فلسطين. وبما أن هذه القضايا خضعت للتحقيق بشكل تدريجي، فقد ظهر احترام سليم لمعرفة المؤلف ودقته في هذه الأمور. دعونا نلقي نظرة على أربعة أمثلة.

بئر يعقوب. يوجد بئر عميق جدًا -يبلغ عمقه حوالي 130 قدمًا -على بعد بضعة مئات من الأمتار من الموقع التقليدي لمقبرة يوسف التي يمكن من خلالها رؤية جبل جرزيم، الجبل المقدس للسامريين. ما يزيد قليلاً عن نصف ميل إلى الشمال من البئر توجد قرية تسمى عسكر، والتي كانت تعرف على ما يبدو باسم سوخار في القرن الرابع.²⁴ أيضًا، يشير التلمود مرتين إلى نبع يسمى عين سكر، والذي قد يكون مطابقًا للنبع في البئر بالقرب من عسكر. من الواضح أن "سكر" التلمود يشبه "سوخار" في يوحنا. يبدو أن كاتب يوحنا 4 كان على دراية بهذا الأمر جيدًا:

²⁴ F. F. Bruce, Places They Knew (London: Ark, 1981), pp. 35-38.

وَكَانَ لَا بُدَّ لَهُ أَنْ يَجْتَازَ السَّامِرَةَ. فَأَتَى إِلَى مَدِينَةٍ مِنْ السَّامِرَةِ يُقَالُ لَهَا سُوخَارُ، يَقْرَبُ الضَّيْعَةَ الَّتِي وَهَبَهَا يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ ابْنِهِ. قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ [السامرية] ... الْبُزُّ عَمِيقَةٌ أَبَاؤُنَا سَجَدُوا فِي هَذَا الْجَبَلِ (يو 4: 4-5، 11، 20)

النزول الى كفرناحوم. إن الإشارة الثلاثية إلى "ينزل/نزول" هي تفاصيل يسهل إغفالها، وهي مدفونة كما هي في سرد يوحنا 4. تم التعرف على قانا في إنجيل يوحنا على أنها خربة قانا، التي تبعد حوالي تسعة أميال عن الناصرة. من المهم أنه بين قانا، حيث تحدث يسوع إلى المسؤول، وكفرناحوم، حيث كان ابن المسؤول، تنخفض الأرض من فوق مستوى سطح البحر إلى حوالي 650 قدمًا تحت مستوى سطح البحر، أي على مسافة مئات الأمتار. أظهر الكاتب، في هذه الرواية، فهماً دقيقاً لتضاريس الجليل الغربي.

فَجَاءَ يَسُوعُ أَيْضًا إِلَى قَانَا الْجَلِيلِ، حَيْثُ صَنَعَ الْمَاءَ خَمْرًا. وَكَانَ خَادِمٌ لِلْمَلِكِ ابْنُهُ مَرِيضٌ فِي كَفَرْنَاهُومَ. انْطَلَقَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَنْزِلَ وَيَشْفِيَ ابْنَهُ لِأَنَّهُ كَانَ مُشْرِفًا عَلَى الْمَوْتِ... يَا سَيِّدُ، أَنْزِلْ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ ابْنِي ... وَفِيمَا هُوَ نَازِلٌ اسْتَقْبَلَهُ عَيِّدُهُ. (يو 4: 46-47، 49، 51)

بركة بيت حسدا. اكتشف علماء الآثار بركة مزدوجة محاطة بأربعة أروقة، وخامسهم على ممر صخري بين البركتين. كانت البركة يبلغ عمقها حوالي خمسين قدمًا، مما يجعل من الضروري للشخص المصاب بالشلل ليس فقط أن تتم مساعدته للوصول إلى الماء ولكن أيضًا مساعدته فيه. هذا هو على الأرجح الموقع الذي وصفه يوحنا.

"وَفِي أُورُشَلِيمَ عِنْدَ بَابِ الضَّأْنِ بِرْكَةٌ يُقَالُ لَهَا بِالْعِبْرَانِيَّةِ «بَيْتُ حَسَدَا» لَهَا خَمْسَةُ أَرْوَاقٍ." (يو 5: 2).

الهيكل في الشتاء. فيما يلي جزء من المعلومات العرضية التي لا يعتمد عليها أي شيء في السرد. عيد التكريس للمكابيين (هانوكا Hanukkah) يحدث في فصل الشتاء، تمامًا كما يحدث عيد الميلاد في أستراليا في منتصف الصيف. يبحث يسوع عن مأوى من الطقس في مكان معين، رواق سليمان، وهو جزء من هيكل هيرودس. إذا كتب شخص ما عن شخص يبحث عن مأوى من الشمس في يوم عيد الميلاد في مطعم Bennelong بينتلونج في دار أوبرا سيدني، فسيكون من المعقول أن يستنتج أنه كان على دراية مباشرة بالمناخ الأسترالي ومعالج سيدني في فترة ما بعد العام 1973 عندما اكتملت دار الأوبرا. نستنتج أن مؤلف هذا الإنجيل كان لديه فهم مباشر لمناخ اليهودية وعمارة الهيكل في الفترة التي سبقت 70 م عندما تم تدميره.

وَكَانَ عِيدُ التَّجْدِيدِ فِي أُورُشَلِيمَ، وَكَانَ شِتَاءً. وَكَانَ يَسُوعُ يَنْمَشِي فِي الْهَيْكَلِ فِي رَوَاقِ سُلَيْمَانَ (يو 10: 22-23)

أخيرًا، قد نلاحظ أن الإنجيلي الرابع يذكر ما يصل إلى اثني عشر مكانًا لم يرد ذكرها في الأناجيل الأخرى. في هذا الصدد، لاحظ خبيران في علم الآثار في فلسطين:

إنها . . . الأطروحة "اللاهوتية" أو "الرمزية" الأكثر كثافة في العهد الجديد، ألا وهي إنجيل يوحنا، والتي تتخللها إشارات جانبية إلى جغرافية فلسطين.

بعض هذه الأماكن -"هذا الجبل" (يو 4: 20)، وبركة سلوام (9: 7) ووادي قدرون (18: 1) - يمكن تحديد مواقعهم بدقة. حتى لو لم يكن لدى الجميع تحديد معين، فهناك، مع ذلك، جو من الأصالة في طريقة وصف المؤلف. كتب عن "بيت عنيا عبر الأردن" (1: 28)؛ "قانا في الجليل" (2: 1؛ 4: 46) - مما يميزها عن "قانا في صيدا". "عين نون بالقرب من ساليمة" ووجود "الكثير من الماء" (3: 23)؛ افرايم مدينة "قرب البرية" (11: 54). "مكان يقال له البلاط وفي العبرية جَبَّاثَا" (19: 13). تعزز العبارات المؤهلة المصاحبة لأسماء الأماكن هذه الانطباعات بأنها مواقع جغرافية دقيقة.²⁵

هذا الكاتب هو الذي يسجل سؤال نثنائيل: "أَمِنْ النَّاصِرَةِ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ صَالِحٌ؟" (يو 1: 46)، وهو أمر لا معنى له إلى حد ما بالنسبة إلى معظم القراء. وبالمثل، قرب نهاية الإنجيل، يبدو أن قراءة نثنائيل الذي مِنْ قَانَا الْجَلِيلِ (يو 21: 2) لا أهمية لها. لكن ما اكتشفه علماء الآثار هو أن القرية التي حددها باسم قانا قريبة جدًا من الناصرة. يبدو أن سؤال نثنائيل الساخر هو مثل محلي عن قرية مجاورة، يتضح الآن أنها كانت صغيرة جدًا وبعيدًا عن الزحام. الدليل الأثري هو أن المؤلف كان لديه معرفة محلية دقيقة، والتي يكشف عنها بطرق غير واضحة تمامًا.

يعلم الإنجيلي أنها رحلة تستغرق يومين من بيت عنيا خارج الأردن (يو 1: 28، 35، 43؛ 2: 1) إلى قانا، ويوم واحد من قانا إلى كفرناحوم (4: 52) ويومان من بيت عنيا خارج الأردن إلى بيت عنيا بالقرب من أورشليم (10: 40-11: 18).²⁶

من الصعب الهروب من الاستنتاج بأن المبشر الرابع كان على دراية تامة بتضاريس ومباني جنوب فلسطين. تعليق علماء الآثار البارزين إريك مايرز وجيمس سترينج:

يمكن مضاعفة هذه الأمثلة عدة مرات وإكمالها بأمثلة من التقاليد والعادات وأجزاء أخرى من المعلومات المعروفة لمؤلف هذا الإنجيل. ومع ذلك، فإن النقطة التي نرغب في توضيحها هي ببساطة أن القراءة غير المتحيزة لإنجيل يوحنا يبدو أنها تشير إلى أنه قائم في الواقع على تقليد تاريخي وجغرافي، وأنه لم يكن مجرد تقليد يكرر المعلومات من الإزائيين.²⁷

اتساق معلومات يوحنا مع السياق التاريخي

أشار المؤرخ اليهودي يوسفوس إلى الحرب بين اليهود والرومان في عام 66-70 م في فلسطين على أنها

²⁵ Eric M. Meyers and James F. Strange, *Archaeology, the Rabbis and Early Christianity* (London: SCM Press, 1981), p. 160.

²⁶ إذا كان وقت وصول الخبر إلى يسوع، كما يبدو، متزامنًا مع وقت موت لعازر (يو 11: 3، راجع 11: 11).

²⁷ Meyers and Strange, *Archaeology, the Rabbis and Early Christianity*, p. 161.

ليست أعظم حروب عصرنا فقط، ولكن بقدر ما وصلت إلينا الروايات، فهي قريبة من كل ما اندلع بين المدن أو الأمم. (The Jewish War 1.1)

فصلت هذه الحرب التاريخ قبلها عن التاريخ بعدها في الطريقة التي يقطع بها طريق سريع ضخم رقعة عبر الريف ويفصل جانبًا عن الآخر تمامًا. وقتل عشرات الآلاف من اليهود. تم تدمير مئات القرى وتعرية أجزاء كثيرة من المناظر الطبيعية حيث تم قطع الأشجار بسبب أعمال الحصار الرومانية. قبل كل شيء، تم تدمير الهيكل ومعه أجزاء كثيرة من أورشليم. كل الأنظمة المرتبطة -قوائم الكهنة، وتوفير الأضاحي -لم تعد موجودة. ذهب رؤساء الكهنة والبنية التحتية الإدارية التي وفرها السنهدريم. خضعت يهودا لحكم عسكري روماني أكثر مباشرة. اختفى الحزب الصدوقي وكذلك الفصائل المتمردة المختلفة مثل المتعصبين والسيكاري. لقد تلاشى حزب الفريسيين الأكثر تطرفاً، الشماليين، من الوجود، ولم يتبق سوى الهيليليين اللطفاء.

كانت الحياة مختلفة جذريًا بالنسبة لليهود بعد تلك الحرب في يهودا كما كانت بالنسبة للروس بعد ثورة 1917، عندما حل لينين والشيوعيون محل نظام القيصرية. النقطة المهمة هي أن الإنجيلي الرابع ليس فقط لا يلمح إلى وقوع مثل هذه الحرب الكارثية، ولكن قصته تُروى من منظور كيف كانت الحياة قبل تلك الحرب، وليس بعدها. يعلق بعض اليهود بعفوية تامة في السرد قائلين "في سِتِّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بُنِيَ هَذَا الْهَيْكَلُ" (يو 2: 20). في مكان آخر يعلق الكاتب، "وَفِي أَوْشَلِيمَ عِنْدَ بَابِ الضَّائِنِ بَرْكَةٌ يُقَالُ لَهَا بِالْعِبْرَانِيَّةِ «بَيْتُ جَسَدًا» لَهَا حَمْسَةُ أَرْوَاقَةٍ" (يو 5: 2). من الطبيعي أن نستنتج من صيغة الفعل المضارع أن كلا المبنيين كانا لا يزالان قائمين وقت كتابة هذا التقرير.

أذهل سي إتش دود برواية المحاكمة في إنجيل يوحنا والعلاقة المنعكسة هناك بين الحاكم الروماني وكبار القادة الكهنة:

إنه يتخللها إحساس حيوي بالوضع كما كان في نصف القرن الأول قبل انقراض الحكم الذاتي المحلي اليهودي. وهي تدرك العلاقات الدقيقة بين السلطات المحلية والسلطات الإمبراطورية. . . كانت هذه الظروف موجودة في اليهودية قبل عام 70 م، وليس لاحقًا وليس في أي مكان آخر.²⁸

بينما يعتبر دود أن الكاتب الأخير للإنجيل قد أزيل في الزمان والمكان من مصادره الممتازة قبل السبعين، يعتبر جون إيه تي روبنسون أنه من المرجح أن يكون المصدر البدائي والكاتب الأخير هما نفس الشخص.²⁹ من المنطقي بالتأكيد الاعتقاد بأن الإنجيل قد كُتب في الفترة التي يُراد وصفها، أي قبل 66 م. بعد عام 70 م، كانت الحياة في فلسطين مختلفة جدًا لدرجة أنه لم يكن من الممكن لشخص غير مطلع على الفترة السابقة أن يصف بدقة من خياله يسوع في عيد التكريس (الشتاء) وهو يمشي في رواق سليمان في الهيكل في أورشليم.

²⁸ C. H. Dodd, Historical Tradition in the Fourth Gospel (Cambridge: Cambridge University Press, 1963), p. 120.

²⁹ John A. T. Robinson, Redating the New Testament (London: SCM Press, 1976), p. 297.

الأشخاص في إنجيل يوحنا

يُظهر الإنجيلي الرابع أيضًا أن عرضه التقديمي متجذر في التاريخ من خلال الإشارات التي يقدمها للناس. من المثير للاهتمام أن المعلومات التي نقلها هذا الكاتب لم تكن مستمدة من الأناجيل الأخرى. ومع ذلك، لا يوجد سبب للشك في صحة هذه المعلومات. دعونا ننظر في ستة أشخاص.

يوحنا المعمدان. يحدد الإنجيلي الرابع وحده الأماكن التي عمّد فيها يوحنا المعمدان: "بيت عنيا عبر الأردن" (يو 1: 28) و "عين نون قرب ساليم" (يو 3: 23). يخبرنا هذا الكاتب فقط أن يوحنا المعمدان كان له "تلاميذ" (يو 1: 35؛ 3: 25) وأن اثنين منهم شكلا فيما بعد نواة تلاميذ يسوع (يو 1: 35-42). يخبرنا هذا الإنجيلي وحده أن يسوع ويوحنا، مع مجموعات أتباعهما، عملوا بالتوازي لبعض الوقت قبل أن يُسجن يوحنا (يو 3: 22-24)، وأن تلاميذ يسوع عمدوا الناس في مجموعتهم -المزيد، في الواقع، أكثر مما فعل يوحنا المعمدان في مجموعته (يو 3: 22؛ 4: 1-2). إذا امتلكنّا الأناجيل الإزائية فقط، سنفترض أن خدمة يسوع العلنية بدأت عندما انتهى يوحنا (مر 1: 14 وما يوازيه). يُظهر لنا الإنجيل الرابع أنه، لفترة على الأقل، تداخلت الخدمتان. إن عبارة "يُوحَنَّا لَمْ يَفْعَلْ آيَةً وَاحِدَةً" (يو 10: 41)، الموجودة فقط في هذا الإنجيل، تتفق مع أدلة أخرى عن يوحنا المعمدان. كمصدر تاريخي ليوحنا المعمدان، نستنتج أن هذا الإنجيل يحتوي على معلومات أكثر تفصيلاً من الأناجيل الإزائية.

نثنائيل. نثنائيل مذكور فقط من قبل الإنجيلي يوحنا، على الرغم من أنه من الممكن أن يكون، في الواقع، نثنائيل برثولماوس (ابن برثولماوس).³⁰ كان من قانا الجليل (يو 21: 2) وكان معروفًا لدى فيلبس من بيت صيدا، التي كانت أيضًا مسقط رأس أندراوس وبطرس (يو 1: 44-45). على الرغم من شكوكه في أي شيء جيد، ولا سيما المسيح القادم من الناصرة المجاورة، فقد اعترف بعد ذلك بأن يسوع هو "ملك إسرائيل" (يو 1: 46-49). كان نثنائيل واحدًا من سبعة أشخاص ظهر لهم يسوع القائم في الجليل (يو 21: 1-2). كل ما يخبرنا به يوحنا عن هذا الرجل -بلدته الأصلية، وارتباطه بجليليليين آخرين، ومثله الساخر عن الناصرة -يوحي بمعلومات تاريخية صحيحة.

يوسف. في الأناجيل الإزائية، تم ذكر يوسف فقط في وقت الحبل بيسوع وولادته، أي حوالي 7 قبل الميلاد. من السهل أن نستنتج من هذه المصادر أن يوسف مات في وقت ما بعد ولادة أبنائه الآخرين (مر 6: 3) وبدء خدمة يسوع العلنية حوالي 29 م. مع ذلك، يوضح إنجيل يوحنا أن يوسف كان حيًا في الوقت الذي أُلِّغ فيه يسوع الجموع في البرية (6: 42).³¹ لو كان يوحنا يعتمد على الإزائيين للحصول على معلوماته، فمن غير المرجح أن يُذكر يوسف على الإطلاق.

في كلتا إشارتي يوحنا، يُحدث عن يسوع على أنه "ابن يوسف" (يو 1: 45؛ 6: 42)، وهي الطريقة التي كان يشير بها معاصرو يسوع الجليليين إليه. لكن في وقت لاحق، قيل إن يسوع "وُلِدَ من امرأة"، وهو تصريح استخدمه كل من المؤمنين والمعارضين، وإن كان لأسباب مختلفة. قصد بولس، المؤمن، الإيحاء بأن الحمل بيسوع كان بفعل الله، دون تدخل جنسي، بينما في التلمود، كان يسوع نذلاً وُلِدَ خارج إطار الزواج من اتحاد بين جندي روماني بانديرا ("بانثير") ومريم (b. Shabbat 104b). قد تكون إشارة يوحنا إلى يسوع على أنه "ابن يوسف" تقليدًا مبكرًا جدًا في الجليل. مرة أخرى، الأدلة من

³⁰ انظر مرقس 3: 18 وما يوازيه.

³¹ إن تسليم يسوع والدته إلى رعاية "التلميذ الذي كان يسوع يحبه" (يو 19: 26) يشير إلى أن يوسف قد مات في ذلك الوقت

يوحنا، في هذه الحالة المتعلقة بيسوع "ابن يوسف"، الذي كان حياً أثناء خدمة يسوع العلنية، تحمل كل علامات الأصالة والتاريخ.

نيقوديموس. يظهر نيقوديموس، الذي أشار إليه هذا الإنجيلي فقط، ثلاث مرات في السرد. في المرة الأولى، في أورشليم (يو 3: 1-15)، اعترف بأن يسوع صانع معجزات ومعلم. يتضح في سياق السرد أن نيقوديموس هو عضو في طائفة الفريسيين (3: 1) وهو بالفعل رابي رائد (3: 10) وأكثر من ذلك، أنه كان "رئيساً لليهود" (3: 1) أو عضو مجلس الشيوخ اليهودي السنهديم.

في المرة الثانية، تحدث أيضاً في أورشليم (يو 7: 50) على أنه "واحد منهم"، أي أنه ينتمي إلى "السلطات" و "الفريسيين" (7: 48)، مما يؤكد ما ورد في المقطع الأول.

في المرة الثالثة، مرة أخرى في أورشليم (يو 19: 38-39)، ظهر نيقوديموس مع يوسف الرامي ليكفن جسد يسوع. الكمية، مائة رطل من خليط المر والعود التي جلبها نيقوديموس لرشها على الجسم، سخية ولكنها ليست غريبة. المعنى الضمني هو أن هذا الرابي الفريسي وعضو السنهديم كان ثرياً أيضاً.

معلومات يوحنا عن نيقوديموس مفصلة ومتسقة وذات صلة واقعية دون أي أثر للرومانسية. لا يوجد سبب للشك في صحة نيقوديموس.

قيافا. تم ذكر قيافا مرتين في متى، مرة في لوقا، مرة في أعمال الرسل، خمس مرات في يوحنا ولم يذكره مرقس على الإطلاق. نتعلم من متى أن قيافا كان الكاهن الأكبر للهيكل ورئيس السنهديم (متى 26: 3، 57) في وقت الصلب، وهو ما يتوافق مع التسلسل الزمني ليوسيفوس (الأثار 18 Antiquities. 35، 95؛ راجع 18. 64). لكن لوقا يشير إلى "الكهنوت الأعظم" لـ حنان وقيافا (لوقا 3: 2؛ راجع أعمال الرسل 4: 6). هذا مثير للفضول، لأن كهنوت حنان الأعظم انتهى في 15 م (الأثار 18. 27). من بين مصادر المعلومات المختلفة عن قيافا، يخبرنا يوحنا وحده أنه كان صهر حنان (يو 18: 13)، مما قد يفسر سبب ربط لوقا بين الاسمين كما يفعل يوحنا (يو 18: 13، 24). يوحنا مرتين يقول أن "قيافا. . . كان رئيس كهنة في تلك السنة" (يو 11: 49؛ 18: 13)، مما يشير، ربما، إلى أن حنان احتفظ بالسلطة الحقيقية حتى بعد خلعه، وربما كان يفوضها من وقت لآخر إلى صهره. مهما كانت الترتيبات الدقيقة، فمن يوحنا مرة أخرى تظهر المعلومات المميزة.

يظهر اسم قيافا على صندوق عظام (نعشه العظمي) اكتشف في القدس عام 1990.

بيلاطس. بيلاطس البنطي، الحاكم الروماني على اليهودية (36-26 م)، تمت الإشارة إليه على نطاق واسع في العهد الجديد، كما ورد أيضاً في كتابات يوسيفوس وفيلو. المصادر الأخيرة، ولا سيما فيلو، تصور بيلاطس على أنه عديم الرحمة وعديم الضمير. لذلك، أعرب بعض العلماء عن شكوكهم في الضعف النسبي لشخصية بيلاطس التي صورتها الروايات الإزائية (انظر بشكل خاص لوقا 23: 18-25).

إنه المبشر الرابع الذي يقدم معلومات تساعد في تفسير سبب تصرف بيلاطس بطريقة غير عادية في محاكمته ليسوع. إنه موجود في كلام اليهود لبيلاطس: "إِنْ أَطْلَقْتَ هَذَا فَلَسْتَ مُجِبّاً لِقَيْصَرَ. كُلُّ مَنْ يَجْعَلُ نَفْسَهُ مَلِكًا يَقَاوِمُ قَيْصَرَ" (يو 19: 12). يدين بيلاطس بتعيينه حاكماً على اليهودية ليس لمولده الأرستقراطي بل لـ "صداقته" مع الإمبراطور طيباريوس. كانت هذه "الصداقة" قد نشأت على أساس

اتفاقية الرعاية المعاصرة من خلال لطف الإمبراطور المتعمد أو تفضيله تجاه بيلاطس. كان الولاء المطلق متوقعًا في المقابل. إن إطلاق سراح ملك نصب نفسه في مقاطعة رومانية كان من شأنه أن يكون عملاً واضحاً من عدم الولاء للإمبراطور "الصديق". وهكذا ينقل يوحنا وحده أنه لم يكن ضعف بيلاطس بل ابتزاز اليهود هو السبب في سلوك الحاكم غير المعهود.³²

هل الإنجيل الرابع ذو طابع تاريخي؟ ثروة المعلومات المتعلقة بالأمكان، والسياق المحدد لفترة ما قبل 70 م وتفاصيل حول الأفراد المذكورين تتطلب اعترافنا بأن هذه القطعة الأدبية تاريخية حقًا.

مشكلتان

قلة من علماء العهد الجديد يأخذون بعين الاعتبار، في رأيي، الطابع التاريخي الواضح للإنجيل الرابع. بالنسبة للكثيرين، يتم تسوية السؤال التاريخي بالنفي، دون مزيد من البحث، بسبب مشكلتين مرتبطتين بهذا الإنجيل. يُنظر إلى هاتين المشكلتين على أنهما مزعجتان للغاية لدرجة أنه يتم توجيه القليل من الاهتمام للعنصر التاريخي الجوهرى في الكتاب.

مصدر ثانوي؟ تم توضيح المشكلة الأولى جيدًا من قبل غونتر بورنكام:

إن الإنجيل بحسب يوحنا له طابع مختلف تمامًا مقارنة بالثلاثة الآخرين، وهو إلى حدٍ كبير نتاج انعكاس لاهوتي متطور، بحيث لا يمكننا التعامل معه إلا كمصدر ثانوي.³³

من المتفق عليه أن إنجيل هذا المؤلف هو "نتاج تفكير لاهوتي متطور". الكتاب مميز برموز قوية، كما في عبارة "كان الليل" (يو 13: 30)، تعليق الكاتب على خروج يهوذا لخيانة يسوع. يمكن رؤية حبه للمجاز أيضًا في الاستخدام المتكرر لعنصر "المجد" المرتبط بموت وقيامة يسوع (على سبيل المثال، يو 12: 23؛ راجع 7: 39). هذا يختلف عن الروايات الإزائية، حيث يرتبط المجد بالمجيء الثاني وحيث يكون التجلي، في الواقع، معاينة لروعه القادمة. لتركيز انتباهنا على تمجيد يسوع في صلبه وقيامته، أغفل يوحنا بجرأة حدث التجلي.

ومع ذلك، لا يترتب على ذلك أن مثل هذه الرمزية تجعل من يوحنا مصدرًا "ثانويًا". هناك ثلاثة أسباب لعدم اعتبار الإنجيل الرابع ثانويًا.

أولاً، المقارنة بالقصص القليلة المشتركة في الإزائيين ويشير يوحنا إلى أنه لم يُشتق من المصادر الأخرى، ولكنه مستقل عنها. تأمل، على سبيل المثال، في تطهير الهيكل في روايات مرقس ويوحنا:

³² Edwin Arthur Judge, The Social Pattern of the Christian Groups in the First Century (London: Tyndale, 1960), p. 34.

³³ Günther Bornkamm, Jesus of Nazareth (London: Hodder and Stoughton, 1960), p. 14.

مرقس 11: 15-17	يوحنا 2: 14-16
15 وَجَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَلَمَّا دَخَلَ يَسُوعُ الْهَيْكَلِ ابْتَدَأَ يُخْرِجُ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي الْهَيْكَلِ، وَقَلَبَ مَوَائِدَ الصَّيَّارِفَةِ وَكَرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ.	14 وَوَجَدَ فِي الْهَيْكَلِ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ بَقَرًا وَغَنَمًا وَحَمَامًا، وَالصَّيَّارِفَ جُلُوسًا.
16 وَلَمْ يَدْعُ أَحَدًا يَجْتَازُ الْهَيْكَلَ بِمَتَاعٍ.	15 فَصَنَعَ سَوَاطِئًا مِنْ حِجَالٍ وَطَرَدَ الْجَمِيعَ مِنَ الْهَيْكَلِ، الْغَنَمَ وَالْبَقَرَ، وَكَبَّ دَرَاهِمَ الصَّيَّارِفِ وَقَلَبَ مَوَائِدَهُمْ.
17 وَكَانَ يُعَلِّمُ قَائِلًا لَهُمْ: «أَلَيْسَ مَكْتُوبًا: بَيْتِي بَيْتَ صَلَاةٍ يُدْعَى لِكُلِّ جَمِيعِ الْأُمَمِ؟ وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَعَارَةً لُصُوصٍ».	16 وَقَالَ لِبَاعَةِ الْحَمَامِ: «ارْفَعُوا هَذِهِ مِنْ هَهُنَا! لَا تَجْعَلُوا بَيْتَ أَبِي بَيْتَ تِجَارَةٍ!».

القصة الأساسية مشتركة بين كلا الروايتين، لذلك ليس هناك شك في أن كلاهما يرويان نفس الحادثة. ومع ذلك، هناك العديد من الاختلافات التي تجعل من غير المحتمل أن يكون يوحنا قد نسخ من نص مرقس. على سبيل المثال، يستبعد يوحنا "الَّذِينَ كَانُوا يَشْتَرُونَ"، وقلب يسوع "كَرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ". وحقيقة أنه "لَمْ يَدْعُ أَحَدًا يَجْتَازُ الْهَيْكَلَ بِمَتَاعٍ". من ناحية أخرى، يُدرج يوحنا تفاصيل مثل "البقر والغنم" و "صَنَعَ سَوَاطِئًا مِنْ حِجَالٍ" و "كَبَّ دَرَاهِمَ الصَّيَّارِفِ". أضف إلى هذه الإغفالات وتضمنيات التعليقات المختلفة التي أدلى به يسوع في كل تقرير، ويبدو أنه من غير المرجح أن يكون أي من هذه الروايات مشتق من الآخر.

إن موقف هذه الحادثة في الإنجيل الرابع والأنجيل الإزائية هو لغز. ما لم يُظهر يسوع الهيكل في مناسبتين مختلفتين، وهذا ليس مستحيلًا، لدينا مشكلة أن الإزائيين وضعوها في النهاية ويوحنا وضعها في البداية. قد يكون هذا الإنجيل موضوعيًا (يرتب الأحداث حسب الموضوع) أكثر من كونه كرونولوجيًا (يرتب الأحداث زمنيًا) في بعض النقاط،³⁴ وفي هذه الحالة يمكننا أن نقبل أن يوحنا هو الذي نقل مكان الحادث. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أنه، كما اقترحنا، مصدر مستقل، به معلومات أكثر وضوحًا من مرقس، وبالتالي فهو ليس بأي حال من الأحوال مصدر ثانوي.

ثانيًا، تُظهر الأدلة المتعلقة بالمباني والأماكن والسياق التاريخي وأشخاص محددين أن هذا الكاتب كان يستخدم بوعي المعلومات التاريخية. هناك الكثير من المعلومات المحددة في الإنجيل الرابع أكثر من الأنجيل الأخرى. هذا المستند هو مستند أساسي، وليس مستندًا مشتقًا أو ثانويًا.

ثالثًا، تُظهر المقارنة مع المقاطع الموازية في كاتب القرن الثاني، إغناطيوس، أسقف أنطاكية، أن يوحنا لم يكن المؤلف المتأخر جدًا الذي اعتقده الكثيرون. قارن، على سبيل المثال:

³⁴ لا يجب أن تكون السير القديمة مرتبة ترتيبًا زمنيًا. تشابه مهم آخر بين السير اليونانية الرومانية والأنجيل الأربعة هو أنها ليست بالضرورة تقارير كرونولوجية (مرتبة زمنيًا) صارمة لحياة الشخص. في الواقع، يمكن أيضًا ترتيب النص حسب الموضوع أو الفئة. على سبيل المثال، كتب كاتب السير الروماني سوتونيوس ما يلي في حياته أوغسطس قيصر: "بعد أن قدمت ملخصًا لحياته، سأتناول الآن مراحلها المختلفة واحدة تلو الأخرى، ليس بترتيب زمني، ولكن حسب الفئات (المواضيع)، لجعل التقرير أكثر وضوحًا وأكثر قابلية للفهم." (Suetonius, Life of the Deified Augustus, 9).

يوحنا	إغناطيوس
تهب الرياح حيث تشاء. . . لكنك لا تعرف من أين تأتي ولا إلى أين تذهب. (يو 3: 8)	لأنه [الروح] يعلم من أين يأتي وإلى أين يذهب. (فيلادلفيا 1. 7)

تشير مقاطع مثل هذه إلى أن إغناطيوس كان يعرف ويستخدم الإنجيل الرابع. منذ أن كتب إغناطيوس في وقت مبكر من القرن الثاني، يترتب على ذلك أن هذا الإنجيل قد كُتب خلال القرن الأول، وبالتالي فهو ليس متأخرًا بشكل واضح عن الأناجيل الأخرى.

هذه الأدلة الثلاثة - الاستقلال عن مرقس، والتفاصيل التاريخية العديدة الموجودة فقط في يوحنا وأصل إنجيل يوحنا قبل إغناطيوس - توضح أنه ليس مصدرًا ثانويًا. بل هو مصدر تاريخي مثل أي مصدر آخر في العهد الجديد.

الافتراض المسبق الكامن وراء بيان بورنكام هو أن اللاهوت "المتقدم" يعني لاهوتًا مكتوبًا متأخرًا عن اللاهوت الأقل تطورًا. لكن على المرء فقط قراءة الأدب المسيحي في أوائل القرن الثاني، مثل رسالة كليمنس الروماني أو رسالة بولكاربوس، ليكتشف أنه على الرغم من كتابته في وقت متأخر عن إنجيل مرقس أو رسالة بولس إلى أهل غلاطية، فإن اللاهوت المتأخر هو في هذه الحالات أقل تطورًا لاهوتيًا. في حين أنه من المتفق عليه أن لاهوت الإنجيل الرابع "متطور"، فإنه لا يعني أنه قد تضاعف تاريخيًا بأي شكل من الأشكال. من الأفضل اعتبار هذا الإنجيل الأكثر تطورًا لاهوتيًا، وفي الوقت نفسه، الأكثر وضوحًا تاريخيًا من بين الأناجيل الأربعة.

خطب يسوع في يوحنا. تتعلق المشكلة الثانية بالأسلوب الموسع للكلام الذي استخدمه يسوع في إنجيل يوحنا مقارنة بالمقارنات الحادة والأمثال في الإزائيين. يُقال أنه إذا تحدث يسوع بأسلوب واحد في متى، فلا يمكن أن يكون المتحدث في يوحنا هو يسوع، وأن الإنجيلي قد ألف خطب يسوع. يجب التعرف على قوة هذه الحجة، لأن الأسلوب والمفردات المستخدمة في جميع أنحاء الإنجيل الرابع متجانسة ومن الصعب أحيانًا تحديد أين تنتهي كلمات يسوع وتبدأ كلمات الإنجيلي. هذه مشكلة حقيقية. ومع ذلك، يمكن إبداء تعليقات.

أولاً، يختلف وضع تعاليم يسوع في الإنجيل الرابع عن التقليد الإزائي. في الأناجيل الإزائية، يتم التأكيد على خدمة الجليل لأهالي الريف، بينما في يوحنا، يكون يسوع في الغالب في أورشليم إما يتناقش مع الرابينين المحترفين أو يتحدث على انفراد مع التلاميذ. من الواضح أن يسوع يمتلك مهارات اتصال ممتازة، لذلك لا ينبغي أن نتفاجأ من أنه استخدم أساليب مختلفة من الكلام في مواقف مختلفة. خاطب حشودًا كبيرة في العراء لكنه تحدث أيضًا بشكل خاص إلى الأفراد في الداخل. وظف الأعراف السائدة في ذلك اليوم في الكرازة حول النص المحدد في الكنيس، وانخرط في سجل لفظي في مناظرات مع الكتبة.³⁵

في الأناجيل، نلاحظ أن يسوع يتحدث بنبوة وأمثال وجدل ورعوي. إذا كان السياسي الحديث قادرًا على تغيير أسلوبه من غرفة الحزب إلى الكونجرس إلى المنصة العامة للتحدث الإذاعي، فما مقدار التباين في الأسلوب الذي يمكن أن نتوقعه من شخص ماهر في التواصل مثل يسوع؟

³⁵ Archibald M. Hunter, According to John (London: SCM Press, 1968), pp. 97- 98.

ثانيًا، في إنجيل يوحنا، يقول يسوع الأشياء بشكل مختلف. لكنه لا يعلم أشياء مختلفة. في الإزائيين، على سبيل المثال، علم يسوع بوضوح أن الله يجب أن يكون مُعرَّفًا بـ "الأب". الفرق هو أنه لا يوجد سوى عشرين إشارة من هذا القبيل في جميع المصادر الإزائية مجتمعة، وأكثر من مائة في يوحنا. في إنجيل يوحنا، يعلم يسوع عن عدد أقل من المواد ولكن بتدبر وتكرار أكبر؛ الاختلاف في الأسلوب وليس المحتوى.

يوحنا زبدي

ضمنيًا في الشكوك المحيطة بالإنجيل الرابع هو عدم احتمال أن يكون صيادًا من الجليل قد كتب هذا الكتاب العميق. يُشار إلى سفر أعمال الرسل، حيث يُقال إن بطرس ويوحنا "رجلان عاديان غير متعلمين" (4: 13). كيف يمكن لمثل هؤلاء أن يكتبوا أناجيلنا؟ لاحظ، مع ذلك، أن هذا هو تصور الحكام والشيوخ والكتبة ورؤساء الكهنة (أعمال الرسل 4: 5-6) الذين كانوا، كأساتذة وقضاة، أعضاء في نخبة من المثقفين والدينيين. الكلمات المترجمة "غير متعلم" و "عام" (اليونانية: *idiotēs* و *agrammatos*) لا تعني أن بطرس ويوحنا كانا أميين، ولكن بالمقارنة مع أولئك الذين قاموا بالملاحظة، فقد كانا غير مهيئين وعلمانيين.³⁶ إذا كان هناك أي شك حول هذا الأمر، فمن المهم أن نلاحظ أن الكاتب اليوناني إبيكتيتوس في القرن الأول يتحدث بالفعل عن رجل "يكتب بطريقة أمية" (باليونانية *graphein agrammats*) (الخطابات Discourses، 2. 9. 10)؛³⁷ بعبارة أخرى، قد يشير وصف بطرس ويوحنا ببساطة إلى افتقارهما إلى معرفة القراءة والكتابة الرسمية من النوع الذي يمتلكه القادة اليهود في أورشليم.

حتى لو كان سفر أعمال الرسل يصف يوحنا بأنه غير قادر على القراءة والكتابة، فإنه لا يزال بإمكانه تأليف الإنجيل المنسوب إليه باستخدام عادة القرن الأول (والقرن الحادي والعشرين) الشائعة في الإملاء على السكرتير. على سبيل المثال، حتى الرسول بولس، الذي كان متعلمًا بالتأكيد، أملى الرسالة إلى رومية على الكاتب ترتيوس (رومية 16: 22). يمكن إعطاء العديد من الأمثلة الأخرى التي توضح استخدام كل من السكرتارية (كورنثوس الأولى 16: 21؛ غلاطية 6: 11-18) والمؤلفين المشاركين (كورنثوس الأولى 1: 1-2؛ كورنثوس الثانية 1: 1؛ فيلبي 1: 1؛ 1 تسالونيكي 1: 1؛ فليمون 1: 1). كما يشير ريتشارد باوكهام، فإن وصف التلميذ الحبيب بأنه "كتب" الإنجيل (يوحنا 21: 24) يمكن أن يشير إلى "إملاء نص على كاتب"،³⁸

ولكن كان يوحنا زبدي من طبقة اجتماعية اقتصادية تستخدم خدمًا مأجورين (مر 1: 20)، لذا ربما كانت ظروفه مماثلة لعائلة الابن الضال، التي كان لها أيضًا خدم (لوقا 15: 17، 22، 26). لم يكن يوحنا نفسه موظفًا، بل كان عضوًا في شركة صيادين (لوقا 5: 10). كانت والدته، سالومي (مر 15: 40 = مت 27: 56)، واحدة من مجموعة من النساء اللواتي "خدمن [يسوع]" (مر 15: 41)، مما يعني أنهن "قدمن له دعمًا ماديًا". من المحتمل أن تكون سالومي مذكورة في وصف لوقا للنساء "العديدات" اللواتي

³⁶ Ben Witherington III, *The Acts of the Apostles: A Socio-Rhetorical Commentary* (Grand Rapids, Mich.: Eerdmans, 1998), pp. 195-97.

³⁷ Luke Timothy Johnson, *Acts*, Sacra Pagina 3 (Collegeville, MN: Liturgical Press, 1991), 78.

³⁸ Richard Bauckham, *Jesus and the Eyewitnesses: The Gospels as Eyewitness Testimony* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2006), 362.

"دعمن" يسوع والإثنا عشر "من مواردهن" (لوقا 8: 3). قد يشير ذكر يوانا، زوجة خوزي، وكيل هيرودس، من بين هؤلاء النساء، إلى أن عائلة زبدي كانت على الأقل من الطبقة الوسطى. علاوة على ذلك، من المحتمل أن التلميذ الذي لم يذكر اسمه والذي كان "معروفًا لدى رئيس الكهنة" (يو 18: 15-16) هو في الحقيقة يوحنا زبدي. الإشارة إليه على أنه "تلميذ آخر" (يو 18: 15) و "التلميذ الآخر" (يو 18: 16) يشبه بالتأكيد "التلميذ الآخر الذي أحبه يسوع" (يو 20: 2). كان بطرس حاضراً مع هذا "التلميذ الآخر" في كلا المقطعين، مما يزيد من احتمالية أنه هو يوحنا. التعرف على رئيس الكهنة يعني ضمناً أن هذا التلميذ ينتمي إلى الطبقات الوسطى أو العليا من المجتمع اليهودي.

بحلول زمن العهد الجديد، كانت فلسطين هيلينية إلى حد كبير، وربما كان غالبية أفراد الطبقة الوسطى قادرين على التحدث بكل من الآرامية واليونانية. نظراً لأنه كان مشغولاً في كفرناحوم في "جليل الأمم" وينتمي إلى المجموعة الاجتماعية والاقتصادية الموصوفة، فمن المنطقي أن نتوقع أن يكون يوحنا زبدي ثنائي اللغة، مع اليونانية كلغته الثانية. علق جون أي تي روبنسون على أن الإنجيلي الرابع كان كاتباً "كانت لغته الأولى هي الآرامية بوضوح وكان يكتب يوناناً صحيحاً، وإن كان محدوداً".³⁹

كان يوحنا زبدي، تلميذ يسوع، مع أخيه يعقوب وبطرس، أحد الثلاثي الداخلي. كانوا من أوائل الذين استُدعوا في شركة يسوع (مر 1: 19). بالإضافة إلى خبرته كعضو في الاثني عشر، كان شاهداً مميزاً على

- شفاء حماة بطرس (مر 1: 29)
- إقامة ابنة يائرس (مر 5: 37)
- التجلي (مر 9: 2)
- خطاب الزيتون (مر 13: 3)
- الاختبار في جثسيماني (مر 14: 33).

إذا كان شخص ما في أي وقت مضى مجهزاً جيداً بشكل فريد من خلال الخبرة لكتابة الإنجيل، فهو يوحنا زبدي.

لم تكن هذه النهاية. على الرغم من أن يوحنا أصغر من أخيه يعقوب (مر 1: 19)، إلا أن يوحنا مُنح الأسبقية على يعقوب بعد القيامة (أعمال الرسل 1: 13). إن يوحنا هو الوحيد الذي يُذكر بانتظام مع بطرس في أقدم تاريخ للمسيحية، سواء في أورشليم (أعمال الرسل 3-4) وأيضاً في السامرة (أعمال الرسل 8: 14-25). إلى جانب يعقوب، شقيق يسوع، وبطرس، يُذكر يوحنا كواحد من "الأعمدة" الثلاثة لكنيسة أورشليم الذين شاركوا في اتفاقية التبشير بعيدة المدى في أورشليم حوالي 47 (غلا 2: 7-9). بالإضافة إلى السنوات الثلاث التي قضاها في شركة يسوع، كان على يوحنا زبدي أن يعمل كقائد لكنيسة أورشليم لمدة خمسة عشر عاماً تقريباً:

- 30-33 م: تلميذ ليسوع
- 33-47 م: "عمود" كنيسة الرسول في أورشليم

³⁹ Robinson, Redating the New Testament, p. 299.

بعد ذلك، فيما يتعلق بالعهد الجديد، يختفي يوحنا زبدي عن الأنظار. لكن ليس هناك شك في أنه حصل على التعليم والخبرة لكتابة الإنجيل الذي يحمل اسمه.

خياران: صواب أو خطأ

أعرب عدد من علماء العهد الجديد عن رأيين مرتبطين حول الإنجيل الرابع. من ناحية، يرفضون تأليفه من قبل تلميذ أصلي، بينما يمدحون الصفات الأدبية واللاهوتية لكتابه من ناحية أخرى. يشير ريموند إي براون إلى المؤلف باعتباره "واعظًا وعالمًا لاهوتيًا" ومع ذلك لم يكن "مشهورًا". يقول سي كي باريت أن "المبشر" كان "ربما أعظم عالم لاهوت في كل تاريخ الكنيسة" ولكنه "تم نسيانه الآن. كان اسمه غير معروف".

الأدلة من القرن الثاني هي عكس ذلك تمامًا. كان المؤلف بالفعل "مشهورًا". كان يوحنا زبدي. لماذا يرفض بعض العلماء المعاصرين شهادة إيريناوس، الذي كان معلمه بوليكرابوس تلميذًا ليوحنا زبدي؟ لماذا لا يقبلون الثقل الكبير للأدلة الداخلية التي تحدد "التلميذ الذي أحبه يسوع" مع يوحنا زبدي؟ ان قولهم انه أعظم عالم لاهوت وما شابه من أقوال الثناء هذه ليس تعويضاً عن قولهم بأن مؤلف الإنجيل شخص مجهول.

هناك قضية أعمق. يقول مؤلفنا:

"وَالَّذِي عَايَنَ شَهِدَ، وَشَهِادَتُهُ حَقٌّ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ لِتُؤْمِنُوا أَنْتُمْ." (يو 19: 35).

يدعي هذا المؤلف أنه كان شاهداً حقيقياً، أي شاهد عيان ليسوع. قال في رسالته الأولى إنه ورفاقه "سمعوا" و "شاهدوا" و "لمسوا" "كلمة الحياة" (1 يو 1: 2-1). إن ادعاءاته واسعة النطاق ومحددة.

البدائل بسيطة. إما أن الكاتب هو شاهد العيان الصادق الذي يزعم أنه كان كذلك، أو كما يعتقد باريت وبراون، لم يكن كذلك. إذا كان باريت وبراون على صواب، فإن المؤلف لم يكن في الواقع شاهد عيان ولم يكن تلميذاً. لذلك يبدو لي أنه لم يكن صادقاً في هذه المرحلة. إذا لم يكن صادقاً فلا يمكن أن يكون "لاهوتياً عظيماً"، لأن اللاهوت يتعلق بالله، الذي هو الحق. على الرغم من أن الإنجيلي الرابع، وفقاً لباريت وبراون، هو "أعظم عالم لاهوتي في التاريخ"، إلا أنه هو نفسه لا يدعي أنه لاهوتي على الإطلاق. إنه يدعي ببساطة أنه صديق خاص ليسوع وشاهد حقيقي لآياته وصلبه وشخصه القائم من بين الأموات. لم يتم حل مشكلة ادعائه الأساسي كونه غير صحيح حقاً من خلال الثناء عليه في نقطة لا يدعي فيها أي ادعاءات. ما لا يمكن إنكاره هو أن جميع الأدلة على هوية المؤلف، من داخل وخارج الإنجيل الرابع، لا تشير إلى مؤلف مجهول ولكن إلى يوحنا زبدي، التلميذ الحبيب.

لا يستطيع العديد من العلماء تصديق أن عضواً في دائرة تلاميذ يسوع الأصلية كان من الممكن أن يكتب الإنجيل الرابع. تكمن الصعوبة الرئيسية التي يواجهونها في أسلوب المؤلف الموسع في الكتابة ومع تطور اللاهوت الخاص به. يُزعم أن المؤلف كتب في وقت متأخر عن الإزائيين ومن خارج بيئة فلسطين.

ومع ذلك، في العقود الماضية، أدت المعرفة المتزايدة بجغرافية فلسطين، إلى جانب نتائج الأعمال الأثرية، إلى الاعتقاد بأن المؤلف كان، في الواقع، على دراية بريف كل من الجليل واليهودية، وأنه كان لديه معرفة حميمة بأورشليم ومنطقة الهيكل.

إن زيادة الوعي بالاختلاف في الروح بعد الحرب في 66-70 م عزز القضية التي كتبها المؤلف من الفترة السابقة، وليس اللاحقة. وهذا يتفق مع تعريف الكتاب لمؤلفه بأنه "التلميذ الحبيب" ومع الرأي الموحد لمسيحيي القرن الثاني، بأن "التلميذ الحبيب" كان يوحنا زبدي.

فماذا إذن عن الأسلوب الموسع واللاهوت المتطور؟ كيف يمكن أن يكون يوحنا زبدي مسؤولاً عن ذلك؟ نجيب أن أحداً كتب هذا الكتاب وأنه كتب قبل نهاية القرن الأول. هل هناك أسباب جوهريّة، على عكس الأسلوبية فقط، للشك في أن يوحنا زبدي كان ذلك الشخص؟ إن مشاركته مع يسوع كواحد من الدائرة المقربة وخبرته الطويلة في القيادة في المجتمع المسيحي في أورشليم تضيف إلى الاحتمال القوي بأن يوحنا زبدي كان في الواقع مؤلف الإنجيل الرابع.

ثالثاً: هل كانت الأناجيل مجهولة العناوين؟⁴⁰

تخيل للحظة أنك تتصفح أرفف مكتبتك المحلية، ووجدت سيرتين ذاتيتين للبابا فرانسيس. كتب أحدها صديق قديم ومعاصر للبابا. السيرة الأخرى مجهولة. أي واحدة سوف تشتري؟ معظم الناس، أجروا على التخمين، سيختارون التي كتبها شخص قضى وقتاً معه بالفعل، شخص كان صديقاً لـ جورج بيرجوجليو Jorge Bergoglio، الرجل الذي أصبح البابا فيما بعد.⁴¹ في الوقت نفسه، أعتقد أن معظم الناس قد ينظرون أيضاً إلى السيرة الذاتية المجهولة بدرجة من الشك. من كتب هذا؟ من أين حصلوا على معلوماتهم؟ لماذا يجب أن أثق في أنهم يعرفون ما الذي يتحدثون عنه؟ وإذا كانوا يريدون أن يصدقهم أحد، فلماذا لم يضعوا اسمهم في الكتاب؟

عندما يتعلق الأمر بسيرة يسوع الناصري -أو أي شخصية تاريخية في هذا الصدد- نجد أنفسنا في موقف مشابه. السؤال الأول الذي يجب أن نجيب عليه هو كيف نعرف ما نعرفه عن يسوع؟ كيف يمكن لأناس القرن الحادي والعشرين أن يعرفوا بأي قدر معقول من اليقين ما فعله وقاله في القرن الأول؟ من الواضح أنه لم يكن أحد منا هناك عندما سار يسوع على الأرض. فكيف نصل إليه كشخص تاريخي؟

بالنسبة للكثير من الناس، الإجابة على هذا السؤال بسيطة: افتح كتابك المقدس وقرأ إنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا؛ يخبروننا بما فعله يسوع وقاله. في الواقع، منذ ما يقرب من تسعة عشر قرناً، اعتقد معظم المسيحيين -وكل شخص آخر تقريباً في هذا الصدد- أن إنجيلي متى ويوحنا كتبهما شهود عيان وتلاميذ ليسوع وأن إنجيلي مرقس ولوقا قد كتبهما رفاق الرسولين بطرس وبولس.

ومع ذلك، كما ذكرت في الفصل الأول، في القرن الماضي أو نحو ذلك، ظهرت نظرية جديدة على الساحة. وفقاً لهذه النظرية، فإن الأفكار المسيحية التقليدية حول من كتب الأناجيل ليست صحيحة في الواقع. بدلاً من ذلك، بدأ العلماء في اقتراح أن الأناجيل الأربعة كانت في الأصل مجهولة. على وجه الخصوص، تم صياغة هذه النظرية في أوائل القرن العشرين من قبل العلماء المعروفين باسم "نقاد الشكل"، الذين اعتقدوا أن الأناجيل لم تكن سيرة ذاتية بل هي فولكلور.⁴² على حد تعبير عالم العهد الجديد ريتشارد باوكهام:

الافتراض بأن تقاليد يسوع كانت تُنشر بشكل مجهول في الكنيسة الأولى، وبالتالي فإن الأناجيل التي تم جمعها فيها وتسجيلها كانت أيضاً مجهولة في الأصل كانت شائعة جداً في دراسات الأناجيل في القرن العشرين. تم نشره من قبل نقاد الشكل كنتيجة طبيعية لاستخدامهم لنموذج الفولكلور، الذي تم تمريره بشكل مجهول من قبل المجتمعات. كانوا

⁴⁰ سيكون في المستقبل ملف خاص عن كل إنجيل وستتم إضافة هذا الجزء لكل ملف.

⁴¹ Compare Alejandro Bermúdez, Pope Francis: Our Brother, Our Friend: Personal Recollections about the Man Who Became Pope (San Francisco: Ignatius, 2013). See also Georg Ratzinger, My Brother, the Pope, trans. Michael Hesemann (San Francisco: Ignatius, 2012).

⁴² Martin Hengel, Studies in the Gospel of Mark (London: SCM, 1985), 65, 162n1.

وفقاً لهينجل، تعود النظرية في المقام الأول إلى اثنين من العلماء الألمان البارزين في أواخر القرن التاسع عشر: أدولف فون هارناك وثيودور زان، الذين توصلا (بالخطأ) إلى هذا الاستنتاج قبل اكتشافات القرن العشرين لأوراق البردي من القرن الثاني كاملة العناوين. انظر

Theodor Zahn, Introduction to the New Testament, trans. John Moore Trout et al., 3 vols. (repr., Minneapolis: Klock & Klock, 1977), 2.386–400.

يعتقدون أن الأناجيل كانت أدبًا شعبيًا، كما أنها مجهولة الاسم/المصدر. هذا الاستخدام لنموذج الفولكلور قد فقد مصداقيته ... ويرجع ذلك جزئيًا إلى وجود اختلاف كبير بين التقاليد الشعبية المتوارثة عبر القرون والفترة الزمنية القصيرة -أقل من عمر الفرد -التي انقضت قبل كتابة الأناجيل. ولكن من اللافت للنظر إلى أي مدى كانت فكرة أن ليس فقط التقاليد ولكن الأناجيل نفسها كانت في الأصل مجهولة المصدر.⁴³

"عند" هي الكلمة الصحيحة فقط. بحلول نهاية القرن العشرين، عندما كنت طالبًا، كان الافتراض بأن الأناجيل الأربعة في العهد الجديد لم تُنسب في الأصل إلى أي شخص واسع الانتشار لدرجة أنه نادرًا ما تمت مناقشته على الإطلاق، ناهيك عن التشكيك فيه. نتيجة لذلك، يعتقد العديد من العلماء اليوم أننا لا نعرف من كتب الأناجيل الأربعة، وهي مصادرنا التاريخية الأساسية لما فعله يسوع وقاله.

ماذا سنفعل من هذه النظرية؟ ما الدليل على أن الأناجيل كانت في الحقيقة مجهولة المصدر؟ في هذا الفصل، سوف نلقي نظرة فاحصة على النظرية ونرى سبب وجود بعض الأسباب الوجيهة للشك فيها.

نظرية الأناجيل مجهولة الاسم

في كتابه الأخير كيف أصبح يسوع إلهاً، يقدم بارت إيرمان ملخصًا موجزًا لنظرية الأناجيل المجهولة. يمكن تقسيمها إلى أربع ادعاءات أساسية.

أولاً، وفقاً لهذه النظرية، تم نشر جميع الأناجيل الأربعة في الأصل دون أي عناوين أو ألقاب تحدد هوية المؤلفين.⁴⁴ هذا يعني عدم وجود "الإنجيل حسب متى"، ولا "الإنجيل حسب مرقس"، ولا "الإنجيل بحسب لوقا"، ولا "الإنجيل حسب يوحنا". ليس لأحد الأربعة. فقط الفراغات. وفقاً لهذه النظرية، على عكس العديد من السير الذاتية القديمة الأخرى المنشورة تحت اسم مؤلف حقيقي، اختار المؤلفون الأصليون للأناجيل عمداً إخفاء هوياتهم.⁴⁵

ثانياً، من المفترض أن الأناجيل الأربعة تم تداولها دون أي ألقاب لمدة قرن تقريباً قبل أن ينسبها أي شخص إلى متى أو مرقس أو لوقا أو يوحنا.⁴⁶ تذكر أنه في العالم القديم، كانت جميع الكتب نسخاً يدوية الصنع تُعرف باسم المخطوطات. وهكذا، وفقاً لهذه الفرضية، في كل مرة يُنسخ فيها أحد الأناجيل يدوياً لعقد بعد عقد، لم يضيف أحد أي ألقاب.

⁴³ Richard Bauckham, Jesus and the Eyewitnesses: The Gospels as Eyewitness Testimony (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2006), 300.

لسوء الحظ، لا يقوم باوكهام بدمج دليل المخطوطة بشكل كافٍ على أصالة عناوين الإنجيل في نظريته الشاملة عن أصول الإنجيل. وبدلاً من ذلك، فهو يعتمد بشدة على نظرية مشكوك فيها حول إدراج شهود العيان الضمنية في الأناجيل كمؤشرات على أصالة التأليف. ومع ذلك، إذا كان باوكهام محقاً ولم تكن الأناجيل في الأصل مجهولة المصدر، فستعمل العناوين نفسها كإشارات كافية للقراء فيما يتعلق بالتأليف، وسيبدو استخدام مثل هذه الإضافات الدقيقة زائداً عن الحاجة.

⁴⁴ Ehrman, How Jesus Became God, 90.

⁴⁵ Ehrman, The New Testament, 79.

⁴⁶ Ehrman, How Jesus Became God, 90.

ثالثاً، لم يتم إضافة العناوين أخيراً إلى المخطوطات إلا بعد وقت طويل -في وقت ما بعد موت تلاميذ يسوع ودفنهم. وفقاً للنظرية، كان سبب إضافة الألقاب هو إعطاء الأناجيل الأربعة "سلطة مطلوبة بشدة".⁴⁷ بمعنى آخر، كان إدراج العناوين محاولة متعمدة لخداع القراء للاعتقاد الكاذب بأن الأناجيل كتبها الرسل وتلاميذهم. كما كتب بارت إيرمان في مكان آخر، فإن عناوين الأناجيل الأربعة هي شكل "ليس بريئاً على الإطلاق" من الإسناد أو التزوير القديم -وهي ممارسة يدينها على نطاق واسع كل من الوثنيين والمسيحيين.⁴⁸

رابعاً وأخيراً، وربما الأهم من ذلك كله، وفقاً لهذه النظرية، نظراً لأن الأناجيل كانت في الأصل مجهولة الاسم، فمن المنطقي الاستنتاج أن أياً منها لم يكتبه شاهد عيان.⁴⁹ على سبيل المثال، بالنسبة لإيرمان، فإن الأناجيل الأربعة هي الحلقات الأخيرة في سلسلة طويلة من كتابات رواة القصص المجهولين الذين لم يكونوا هم أنفسهم شهود عيان ليسوع والذين ربما لم يلتقوا أبداً بأي شاهد عيان.

هذه باختصار نظرية الأناجيل المجهولة.⁵⁰ تنتشر النظرية بشكل ملحوظ بين العلماء وغير العلماء على حد سواء. وقد تم التأكيد عليه بشكل خاص من قبل أولئك الذين يرغبون في إثارة الشكوك حول

⁴⁷ المرجع نفسه.

⁴⁸ Bart D. Ehrman, *Forgery and Counterforgery: The Use of Literary Deceit in Early Christian Polemics* (Oxford: Oxford University Press, 2013), 51–52, 6.

⁴⁹ Ehrman, *How Jesus Became God*, 90.

⁵⁰ في عمله السابق، تضمن بارت إيرمان حجة خامسة، ادعى فيها أن شكل العناوين - "الإنجيل حسب X" - يثبت أن العناوين قد أضافها "شخص آخر" غير المؤلف. انظر

Bart D. Ehrman, *Jesus: Apocalyptic Prophet of the New Millennium* (Oxford: Oxford University Press, 1999), 42.

للوهلة الأولى، قد يبدو هذا مقنعاً للقراء المعاصرين الذين اعتادوا على المؤلفين الذين يشيرون إلى أنفسهم حصرياً بصيغة المتكلم. لكن من منظور تاريخي، فشلت الحجة في ثلاث نقاط: (1) كما سنرى لاحقاً، الأناجيل هي شكل من أشكال السيرة اليونانية الرومانية القديمة. كما أشار خبراء في السير الذاتية القديمة، "مؤلفو السير الذاتية ... عادة ما يتم تسميتهم".

Craig S. Keener, *The Gospel of Matthew: A Socio-Rhetorical Commentary* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2009), 40.

علاوة على ذلك، كانت إحدى "السمات الافتتاحية" القياسية للسيرة اليونانية الرومانية القديمة عادةً نوعاً من "العنوان". Richard Burridge, *What Are the Gospels?*, 156–57.

تحدد هذه العناوين أحياناً المؤلف بصيغة الغائب، على سبيل المثال. (Josephus, *Life of Josephus*; Tacitus's *Agricola*; Diogenes Laertius, *Lives of Eminent Philosophers*).

هذا منطقي تماماً، لأنه عندما يتعلق الأمر بالسيرة الذاتية، سيرغب القارئ في معرفة من الذي يقدم سرداً لحياة الشخص، وكيف حصل على معلوماته. في الواقع، حتى مؤلفو السير الذاتية الذين يشيرون إلى أنفسهم بصيغة المتكلم لا يذكرون أسمائهم في نص الكتاب.

(Josephus, *Life* 1–2, 430; Lucian, *Demonax*, 1–2).

لكن هذا لا يحول أعمالهم إلى كتب "مجهولة". باختصار، لم تعد الأناجيل "مجهولة تماماً" من السير الذاتية القديمة الأخرى التي لا توجد فيها معلومات صريحة عن التأليف في متن الكتاب. غالباً ما يتم الاحتفاظ بالمعلومات حول تأليف مثل هذه الأعمال للعنوان.

(2) لدينا إشارات إلى كتب قديمة تتشابه عناوينها بشكل لافت مع عناوين الأناجيل، مثل "المذكرات بحسب نحيا" (اليونانية *tois hypomnēmatismois tois kata ton Neemian*) (مكابيين الثاني 2: 13) أو "ولادة وحياة أبقراط وفقاً لسورانوس" (اليونانية *hē kat 'hērodoton history*) (اليونانية *Hippokratous genos kai bios kata Sōranon*) أو "التواريخ وفقاً لهيرودوت" (اليونانية *tēn kat' auton historian*) (اليونانية "عمله التاريخي") (اليونانية *tēn kat' auton historian*) (يوسيفوس ضد أبيون، 1. 18). انظر

في إحدى الحالات، يشير يوسيفوس إلى تاريخ ثيوسيديدس على أنه "عمله التاريخي" (اليونانية *tēn kat' auton historian*) (يوسيفوس ضد أبيون، 1. 18). انظر

Martin Hengel, *Studies in the Gospel of Mark* (London: SCM, 1985), 163n8.

في ضوء هذه المتوازيات، لا يوجد شيء غير قابل للتصديق حول استخدام الإنجيليين لعنوان "الأخبار السارة وفقاً لـ [المؤلف]"، خاصة إذا رأوا أنفسهم على أنهم يعلنون الأخبار السارة عن يسوع باستخدام شكل السير الذاتية التاريخية. علاوة على ذلك، تُظهر هذه الأمثلة أيضاً أن الادعاء أحياناً بأن "وفقاً لـ" (اليونانية *kata*) لا تشير إلى التأليف هو ادعاء خاطئ. (3) حتى إذا تمت إضافة عنوان

المصادقية التاريخية لصورة يسوع في الأناجيل الأربعة.⁵¹ المشكلة الوحيدة هي أن النظرية تكاد تكون بلا أساس. لا أساس لها في أقدم مخطوطات الأناجيل، ولا تأخذ على محمل الجد كيفية نسخ الكتب القديمة وتداولها، وتعاني من نقص عام في المعقولية التاريخية. دعونا نلقي نظرة فاحصة على كل من نقاط الضعف هذه.

لا توجد مخطوطات للأناجيل بدون اسم/عنوان

المشكلة الأولى وربما الأكبر لنظرية الأناجيل المجهولة هي: لم يتم العثور على نسخ مجهولة متى أو مرقس أو لوقا أو يوحنا. لا وجود لها. على حد علمنا، لم يوجدوا أبدًا.

بدلاً من ذلك، كما أوضح الباحث في العهد الجديد سيمون جاثركول، فإن المخطوطات القديمة مُجمعة على نسب هذه الكتب إلى الرسل ورفاقهم. تأمل، على سبيل المثال، الجدول التالي للعناوين الموجودة في أقدم المخطوطات اليونانية لكل من الأناجيل.⁵²

عناوين الأناجيل	المخطوطات اليونانية الأقدم	التاريخ ⁵³
الإنجيل بحسب متى	بردية 4	القرن الثاني
الإنجيل بحسب متى	بردية 62	القرن الثاني
بحسب متى	السينائية	القرن الرابع
بحسب متى	الفاتيكانية	القرن الرابع
الإنجيل بحسب متى (مجزأة)	واشنجتون	القرن الرابع-الخامس
الإنجيل بحسب متى	السكندرية	القرن الخامس
الإنجيل بحسب متى	الإفرايمية	القرن الخامس
الإنجيل بحسب متى (النهاية)	بيزا	القرن الخامس

أول إنجيل مكتوب من قبل كاتب عرف هوية المؤلف بعد فترة وجيزة من نشر الكتاب أو بالتزامن مع نشره، فإن هذا لا يزال مختلفاً عن كتاب "مجهول تماماً". علاوة على ذلك، بمجرد إضافة العنوان الأول إلى الإنجيل الأول، فإنه من السذاجة القول بأن مؤلفي الإنجيل اللاحقين سيقلدون وينسخون من كل شيء تقريباً في الكتاب باستثناء العنوان. على العكس من ذلك، فمن المعقول تماماً أن نقترح أن كتاب الإنجيل اللاحقين سيقلدون شكل العنوان ("الأخبار السارة حسب...") لكنهم يغيرون اسم المؤلف. إذا كنا نعرف شيئاً عن مؤلفي الإنجيل، فهو أنهم لم يكن لديهم أي تأنيب على الإطلاق عن نسخ المواد من بعضهم البعض! لا يوجد سبب لا ينبغي أن يكون هذا صحيحاً بالنسبة للعناوين أيضاً. حول كل هذا، راجع.

Michael F. Bird, *The Gospel of the Lord: How the Early Church Wrote the Story of Jesus* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2014), 257–58.

⁵¹ Reza Aslan, *Zealot: The Life and Times of Jesus of Nazareth* (New York: Random House, 2014).

أحد الأشياء الأولى التي يقوم بها أصلان هو الإصرار على أنه "لم يكتب أي من الأناجيل الشخص الذي سميت باسمه (xxvi)" هذا يحرره ليبي يسوع الذي يختلف اختلافاً جذرياً عن الذي تقدمه الأناجيل.

⁵² Simon J. Gathercole, "The Titles of the Gospels in the Earliest New Testament Manuscripts," *Zeitschrift für die Neutestamentliche Wissenschaft* 104 (2013): 33–76.

⁵³ لمناقشة تواريخ المخطوطات، انظر

Bruce M. Metzger and Bart D. Ehrman, *The Text of the New Testament: Its Transmission, Corruption, and Restoration* (Oxford: Oxford University Press, 2005), 52–94. See also D. C. Parker, *An Introduction to the New Testament Manuscripts and Their Texts* (Cambridge: Cambridge University Press, 2008).

بحسب مرقس	السينائية	القرن الرابع
بحسب مرقس	الفاتيكانية	القرن الرابع
إنجيل بحسب مرقس	واشنجتون	القرن الرابع-الخامس
إنجيل بحسب مرقس (مجزأة)	السكندرية	القرن الخامس
إنجيل بحسب مرقس (النهاية)	الإفرايمية	القرن الخامس
إنجيل بحسب مرقس	بيزا	القرن الخامس
إنجيل بحسب لوقا	بردية 75	القرن الثاني-الثالث
بحسب لوقا	السينائية	القرن الرابع
بحسب لوقا	الفاتيكانية	القرن الرابع
إنجيل بحسب لوقا	واشنجتون	القرن الرابع-الخامس
إنجيل بحسب لوقا	السكندرية	القرن الخامس
إنجيل بحسب لوقا	بيزا	القرن الخامس
إنجيل بحسب يوحنا	بردية 66	أواخر القرن الثاني
إنجيل بحسب يوحنا	بردية 75	القرن الثاني-الثالث
بحسب يوحنا	السينائية	القرن الرابع
بحسب يوحنا	الفاتيكانية	القرن الرابع
بحسب يوحنا (النهاية)	واشنجتون	القرن الرابع-الخامس
إنجيل بحسب يوحنا (النهاية)	السكندرية	القرن الخامس
إنجيل بحسب يوحنا	بيزا	القرن الخامس

لاحظ ثلاثة أشياء بخصوص هذا الدليل.

أولاً، هناك غياب صارخ لأية مخطوطات إنجيلية مجهولة الاسم/المصدر. هذا لأنهم غير موجودين. ولا واحدة. السبب وراء أهمية هذا الأمر هو أن إحدى القواعد الأساسية في دراسة مخطوطات العهد الجديد (وهي ممارسة تُعرف بالنقد النصي) هي أنك تعود إلى أقدم وأفضل النسخ اليونانية لترى ما تقوله بالفعل. ليس ما كنت ترغب في قوله، ولكن ما يقولونه بالفعل. عندما يتعلق الأمر بعناوين الأنجيل، ليس فقط أقدم وأفضل المخطوطات، ولكن جميع المخطوطات القديمة -بدون استثناء، في كل لغة -تنسب الأنجيل الأربعة إلى متى ومرقس ولوقا ويوحنا.⁵⁴

ثانياً، لاحظ أن هناك بعض الاختلاف في شكل العناوين (على سبيل المثال، بعض المخطوطات اللاحقة تحذف كلمة "الإنجيل"). ومع ذلك، كما يلاحظ الباحث في العهد الجديد مايكل بيرد، هناك "اتساق مطلق" في المؤلفين الذين يُنسب إليهم كل كتاب.⁵⁵ أحد أسباب أهمية ذلك هو أن بعض العلماء سيدعون

⁵⁴ Martin Hengel, The Four Gospels and the One Gospel of Jesus Christ, trans. John Bowden (Harrisburg, PA: Trinity Press International, 2000), 48–56. See also Hengel, Studies in the Gospel of Mark, 64–84.

⁵⁵ Bird, The Gospel of the Lord, 259:

"هناك اتساق مطلق في المؤلفين المنسوبين إلى الأنجيل الأربعة. يُطلق على متى دائماً اسم "متى"، ويُطلق على لوقا دائماً اسم "لوقا"، وهكذا دواليك."

أن المخطوطات اليونانية تدعم فكرة أن عناوين الأنجيل قد أضيفت لاحقًا. على سبيل المثال، كتب بارت إيرمان:

نظرًا لأن المخطوطات اليونانية الباقية توفر مجموعة متنوعة من العناوين (المختلفة) للأنجيل، فقد أدرك علماء النصوص منذ فترة طويلة أن أسمائهم المألوفة (على سبيل المثال، "الإنجيل بحسب متى") لا تعود إلى عنوان "أصلي" واحد، ولكن أضيف لاحقًا بواسطة الكتبة.⁵⁶

انظر إلى الجدول الذي يظهر عناوين أقدم المخطوطات اليونانية. أين هو "التنوع الكبير" للألقاب الذي يتحدث عنه؟ الاختلاف الوحيد المهم هو أن كلمة "الإنجيل" مفقودة في بعض النسخ اللاحقة، ربما بسبب اختصار العنوان.⁵⁷ في الواقع، هي بالضبط الأسماء المألوفة لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا التي توجد في كل مخطوطة واحدة لدينا! ووفقًا للقواعد الأساسية للنقد النصي، إذا كان هناك شيء أصلي في العناوين، فهو أسماء المؤلفين.⁵⁸ هي على الأقل أصلية مثل أي جزء آخر من الأنجيل التي لدينا أدلة مخطوطة بالإجماع عليها.

ثالثًا - وهذا مهم - لاحظ أيضًا أن العناوين موجودة في أقدم نسخ كل إنجيل لدينا، بما في ذلك الأجزاء الأولى، المعروفة باسم البرديات (من أوراق البردي التي صنعت منها). على سبيل المثال، تحتوي المخطوطة اليونانية الأولى لإنجيل متى على العنوان "الإنجيل بحسب متى" (اليونانية euangelion kata Matthaion) (بردية 4). وبالمثل، فإن أقدم نسخة يونانية من بداية إنجيل مرقس تبدأ بالعنوان "الإنجيل بحسب مرقس" (اليونانية euangelion kata Markon). تعتبر هذه المخطوطة الشهيرة - التي تُعرف باسم المخطوطة السينائية لأنها اكتُشفت على جبل سيناء - على نطاق واسع واحدة من أكثر النسخ القديمة الموثوقة للعهد الجديد التي تم العثور عليها على الإطلاق. على نفس المنوال، تبدأ أقدم نسخة معروفة من إنجيل لوقا بكلمات "الإنجيل بحسب لوقا" (اليونانية euangelion kata Loukan) (بردية 75). أخيرًا، المخطوطة الأولى الموجودة لإنجيل يوحنا ليست سوى جزء صغير من الإنجيل. لكن لحسن الحظ، تم حفظ الصفحة الأولى ونصها: "الإنجيل بحسب يوحنا" (اليونانية euangelion kata Iōannēn) (بردية 66).

باختصار، تُنسب النسخ الأولى والأفضل من الأنجيل الأربعة بالإجماع إلى متى ومرقس ولوقا ويوحنا. لا يوجد دليل مخطوطي على الإطلاق - وبالتالي لا يوجد دليل تاريخي فعلي - لدعم الادعاء بأن

⁵⁶ Ehrman, Jesus: Apocalyptic Prophet, 248–49n1.

⁵⁷ Gathercole, "The Titles of the Gospels in the Earliest New Testament Manuscripts," 71:

"يبدو أن النسخة الأطول كانت أقرب إلى العنوان 'الحقيقي'، والنسخة الأقصر هي اختصار، بدلاً من أن تستشهد الحواشي السفلية العلمية اليوم أولاً بالعنوان بالكامل ثم تختصره بعد ذلك." أنظر أيضًا

David E. Aune, "The Meaning of Euangelion in the Inscriptions of the Canonical Gospels," in Jesus, Gospel Traditions and Paul in the Context of Jewish and Greco-Roman Antiquity: Collected Essays, Wissenschaftliche Untersuchungen zum Neuen Testament 303 (Tübingen: Mohr-Siebeck, 2013), 24.

⁵⁸ Bart D. Ehrman, Misquoting Jesus: The Story Behind Who Changed the Bible and Why (San Francisco: HarperOne, 2005), 130:

"ربما يكون المعيار الخارجي الأكثر أهمية الذي يتبعه العلماء هو هذا: لكي تُعتبر القراءة 'أصلية'، يجب عادةً العثور عليها في أفضل المخطوطات وأفضل مجموعات المخطوطات. في الواقع، لم يتم العثور على عناوين الأنجيل فقط في 'أفضل المخطوطات' و 'أفضل مجموعات المخطوطات'؛ تم العثور عليها في جميع المخطوطات - دون استثناء واحد. ومن ثم، وفقًا لمعيار إيرمان النقدي للنص، يجب اعتبار عناوين الأنجيل أصلية.

الأنجيل "في الأصل" ليس لها ألقاب. في ضوء هذا النقص الكامل في النسخ المجهولة، كتب عالم العهد الجديد مارتن هينجل:

دعوا أولئك الذين ينكرون العصر العظيم وبالتالي الأصالة الأساسية في عناوين مخطوطات الأنجيل من أجل الحفاظ على ضميرهم النقدي "الصالح" يعطون تفسير أفضل للإجماع الكامل والشهادة المبكرة نسبياً لهذه العناوين وأصلها وأسماء المؤلفين المرتبطين بها. لم يتم تقديم مثل هذا التفسير بعد، ولن يتم تقديمه أبداً.⁵⁹

سيناريو مجهولية كُتاب الأنجيل غير معقول

المشكلة الرئيسية الثانية في نظرية الأنجيل المجهولة هي اللامعقولية المطلقة بأن كتاباً يدور حول الإمبراطورية الرومانية بدون عنوان لما يقرب من مائة عام يمكن أن يُنسب بطريقة ما إلى المؤلف نفسه بالضبط من قبل الكتبة في جميع أنحاء العالم ولا يترك أي أثر للخلاف في أي مخطوطات.⁶⁰ وبالمناسبة، من المفترض أن هذا لم يحدث مرة واحدة فقط، ولكن مع كل واحد من الأنجيل الأربعة.

فكر في الأمر لدقيقة واحدة. وفقاً لنظرية الأنجيل المجهولة الاسم، فإن إنجيل متى كان "في الأصل" الإنجيل وفقاً لأي شخص. نُسخ هذا الكتاب المجهول باليد، وأعيد نسخه، وأعيد نسخه، ووزع في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية لعقود. وبالمثل، فإن إنجيل مرقس، الذي كان أيضاً "في الأصل" إنجيلًا بالنسبة لأي شخص، تم نسخه وإعادة نسخه وتعميمه وإعادة نسخه لعقود. وهكذا بالنسبة للإنجيل الثالث المجهول، ثم الإنجيل الرابع المجهول. بعد ذلك، في وقت ما في أوائل القرن الثاني الميلادي، من المفترض أن العناوين نفسها تمت إضافتها ليس إلى واحد، أو اثنين، أو ثلاثة، ولكن جميع هذه الكتب الأربعة المختلفة والمجهولة الاسم. علاوة على ذلك، من المفترض أن يكون سبب التأليف هذا قد حدث على الرغم من أن الأنجيل الأربعة قد انتشرت بالفعل في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية بحلول القرن الثاني: في الجليل وأورشليم وسوريا وأفريقيا ومصر وروما وفرنسا وغيرها، أينما وجدت النسخ.

هذا السيناريو لا يصدق تماماً. حتى لو كان من الممكن كتابة إنجيل واحد مجهول ونشره ومن ثم نسبه بأعجوبة إلى نفس الشخص من قبل المسيحيين الذين يعيشون في روما وإفريقيا وإيطاليا وسوريا، فهل من المفترض حقاً أن أصدق أن الشيء نفسه لم يحدث مرة واحدة، وليس مرتين، ولكن مع أربعة كتب مختلفة، مراراً وتكراراً، في جميع أنحاء العالم؟ كيف عرف هؤلاء الكتبة المجهولون الذين أضافوا العناوين لمن ينسبون الكتب؟ كيف تواصلوا مع بعضهم البعض بحيث انتهت جميع النسخ بنفس العناوين؟

علاوة على ذلك، فإن الفكرة القائلة بأن إضافة العناوين كانت ستستغرق ما يقرب من مائة عام لا تأخذ في الاعتبار حقيقة أنه منذ اللحظة التي كان هناك حتى أكثر من إنجيل واحد متداول، كان القراء بحاجة إلى طريقة ما لتمييزهم. من بعضنا البعض. على حد تعبير جراهام ستانتون:

⁵⁹ Hengel, The Four Gospels and the One Gospel of Jesus Christ, 55.

⁶⁰ Bird, The Gospel of the Lord, 258–59.

بمجرد أن تستخدم المجتمعات المسيحية بانتظام أكثر من رواية مكتوبة لأفعال يسوع وتعاليمه، كان من الضروري التمييز بينها من خلال شكل من أشكال العنوان، لا سيما في سياق القراءات في العبادة.⁶¹

الآن، نعلم من إنجيل لوقا أن العديد من الروايات عن حياة يسوع كانت متداولة بالفعل بحلول الوقت الذي كتب فيه (انظر لوقا 1: 1-4). لذا فإن الإيحاء بعدم إضافة أي عناوين على الإطلاق إلى الأناجيل حتى أواخر القرن الثاني الميلادي يفشل تمامًا في مراعاة حقيقة أن العديد من الأناجيل كانت متداولة بالفعل قبل أن يضع لوقا قلمًا على ورق البردي، وأنه ستكون هناك حاجة عملية لتحديد هوية هذه الكتب.

أخيرًا، إذا حدثت الأشياء بالطريقة التي تقترحها النظرية المجهولة، فلماذا لا تُنسب بعض النسخ إلى متى أو مرقس أو لوقا أو يوحنا، ولكن تُنسب نسخ أخرى إلى شخص آخر - على سبيل المثال، أندراوس، أو بطرس، أو يهوذا؟ إذا كانت الأناجيل قد حصلت بالفعل على عناوينها من الكتبة الذين أضافوها زورًا إلى المخطوطات حتى قرن من الزمان، فإننا نتوقع العثور على (1) نسخ مجهولة الهوية - والتي، كما رأينا بالفعل، غير موجودة - وكذلك (2) عناوين متناقضة، حيث ينسب بعض الكتبة نسخة واحدة من الإنجيل إلى متى وتنسب أخرى نفس الإنجيل إلى بطرس أو يسوع أو أي شخص آخر.

إذا كان هناك أي شك حول هذا الأمر، فمن المهم مقارنة الدليل المخطوطي للأناجيل الأربعة بالدليل المخطوطي لرسالة العهد الجديد إلى العبرانيين. على عكس الأناجيل الأربعة، فإن الرسالة إلى العبرانيين هي في الواقع مجهولة. لم تحدد أبدًا مؤلفها صراحةً، ولا حتى في العنوان.⁶² لذا فمن ماذا يحدث عندما يكون لديك كتاب حقيقي مجهول الاسم؟ ينتهي الأمر إما بالبقاء مجهول الهوية أو يُنسب إلى مؤلفين مختلفين، كما هو موضح في الجدول التالي.

العنوان	المخطوطة اليونانية	التاريخ ⁶³
إلى العبرانيين	بردية 64	القرن الثاني
إلى العبرانيين	السينائية	القرن الرابع
إلى العبرانيين	الفاتيكانية	القرن الرابع
إلى العبرانيين، مكتوبة من روما	السكندرية	القرن الخامس
إلى العبرانيين، مكتوبة من إيطاليا	مخطوطة بورفيريان	القرن التاسع

⁶¹ Graham Stanton, *Jesus and Gospel* (Cambridge: Cambridge University Press, 2004), 79.

⁶² Harold Attridge, *The Epistle to the Hebrews*, Hermeneia (Minneapolis: Fortress, 1989), 1–2, 410n87; see also Barbara and Kurt Aland et al., *Novum Testamentum Graece*, 27th ed. (Stuttgart: Deutsche Bibelgesellschaft, 1993), 587.

⁶³ لتواريخ المخطوطات، انظر

Metzger and Ehrman, *The Text of the New Testament*, 52–94

إلى العبرانيين، مكتوبة من إيطاليا، على يد تيموثاوس	مخطوطة الخط الصغير 1739	القرن العاشر
إلى العبرانيين، مكتوبة من روما، على يد بولس للذين هم في أورشليم	مخطوطة الخط الصغير 81	القرن الحادي عشر
إلى العبرانيين، مكتوبة بالعبرية من إيطاليا، مجهولة الهوية على يد تيموثاوس	مخطوطة الخط الصغير 104	القرن الحادي عشر

لاحظ تنوع المؤلفين المقترحين: بعض المخطوطات تظل مجهولة المصدر، والبعض يقول أن العبرانيين كتبها "تيموثاوس"، والبعض الآخر كتبها "بولس". يشير عنوان إحدى المخطوطات صراحةً إلى أنها كُتبت "مجهول الهوية" (اليونانية *anonymōs*)! نفس الشيء ينطبق على الكتاب المسيحيين القدماء: يقول بعض كتّاب الكنيسة الأوائل أن بولس كتب العبرانيين لكنه لم يعرّف عن نفسه؛ ويقول آخرون إن لوقا ترجم رسالة بولس من العبرية إلى اليونانية؛ ويقول آخرون إن العبرانيين كتبها برنابا رفيق بولس؛ ولا يزال آخرون يقولون إن الرسالة كتبها كليمنس أسقف روما.⁶⁴ في أواخر القرن الثاني بعد الميلاد، رفع أوريجانوس السكندري يديه ببساطة وصرح: "أما من كتب الرسالة [إلى العبرانيين]،" فقط "الله أعلم" (يوسابيوس، تاريخ الكنيسة، 6. 25. 14).

هذا ما تحصل عليه مع كتاب مجهول حقًا من العهد الجديد: مخطوطات فعلية مجهولة، ومناقشات قديمة فعلية حول من كتبه. ولكن هذا هو بالضبط ما لا تجده عندما يتعلق الأمر بإنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا. لا توجد نسخ مجهولة، وكما سنرى في المقال القادم-لا جدال بين المسيحيين القدماء حول من كتب الأنجيل. العلماء الذين يستمرون في الادعاء بأن الأنجيل كانت في الأصل مجهولة لا يمكنهم تفسير سبب عدم وجود نفس التنوع من المؤلفين المقترحين كما يحدث مع الرسالة إلى العبرانيين. مرة أخرى، على حد تعبير مارتين هينجل:

إذا كانت [الأنجيل] قد عمت لأول مرة بشكل مجهول ولم تُمنح ألقابها إلا في مرحلة ثانوية وبصورة مستقلة عن بعضها البعض في المجتمعات المختلفة، لأن العنوان كان ضروريًا لإعلان القراءة في العبادة، يجب أن يكون هذا قد أدى بالضرورة إلى مجموعة متنوعة من العناوين، كما يتضح من العديد من الأمثلة من العصور القديمة.... لا يوجد أي أثر لمثل هذه المجهولية.⁶⁵

باختصار، لا تعاني نظرية الأنجيل المجهولة من نقص الأدلة المخطوطة فحسب، بل تعاني أيضًا من نقص المنطق. إنها ببساطة لا تنجح عندما يتعلق الأمر بالمعايير الأساسية للمعقولية التاريخية.

⁶⁴ Eusebius, Church History, 6.1–3, 20.3; 25.13–14; Jerome, Lives of Illustrious Men, 5.59.

⁶⁵ Hengel, The Four Gospels, 54.

لماذا تنسب مرقس ولوقا إلى غير شهود العيان؟

المشكلة الرئيسية الثالثة في نظرية الأنجيل المجهولة تتعلق بالادعاء بأن الأنساب الخاطئة قد أضيفت بعد قرن من الزمان لمنح الأنجيل "السلطة المطلوبة بشدة".⁶⁶ إذا كان هذا صحيحًا، فلماذا يُنسب اثنان من الأنجيل الأربعة إلى غير شهود العيان؟ لماذا يختار الكتبة القدامى مرقس ولوقا، من بين كل الناس، والذين لم يعرفوا يسوع أبدًا؟

مرة أخرى، ضع نفسك مكان الكتبة القدامى الذين من المفترض أنهم أضافوا عن قصد ألقابًا مزيفة إلى الأنجيل. إذا أردت إعطاء السلطة لكتابك المجهول، فهل ستختار لوقا، الذي لم يكن شاهد عيان بنفسه ولا من أتباع شاهد عيان، بل رفيق بولس، الذي لم يلتق بيسوع أبدًا خلال حياته الأرضية؟ وإذا أردت أن تمنح السلطة لسيرة حياة يسوع المجهولة، فهل ستختار مرقس، الذي لم يكن هو نفسه تلميذًا ليسوع؟ إذا كانت السلطة هي ما كنت تبحث عنه، فلماذا لا تنسب إنجيلك المجهول الهوية مباشرة إلى بطرس، رئيس الرسل؟ أم لأخيه أندراوس؟ في هذا الصدد، لماذا لا تذهب مباشرة إلى القمة وتنسب إنجيلك إلى يسوع نفسه؟

كما سنرى في المقالات القادمة، فإن مثل هذه الصفات إلى الرسل وشهود العيان الآخرين هي بالضبط ما نجده عندما ننظر إلى ما يسمى بـ "الأنجيل المفقودة" -المعروفة أيضًا باسم الأنجيل الملققة (من الكلمة اليونانية apocryphon، والتي تعني "كتاب مخفي"). يتفق جميع العلماء تقريبًا على أن الأنجيل الملققة -مثل إنجيل بطرس وإنجيل توما وإنجيل يهوذا -هي مزيفة تُسبب زورًا إلى تلاميذ يسوع بعد فترة طويلة من موت الرسل.⁶⁷ لاحظ أنه لا يوجد أي من الأنجيل الملققة اللاحقة تُنسب إلى غير شهود العيان مثل مرقس ولوقا.⁶⁸ تُنسب الأنجيل الكاذبة اللاحقة إلى أشخاص لديهم إمكانية الوصول المباشر إلى يسوع: أشخاص مثل بطرس، أو الرسول توما، أو مريم المجدلية، أو يهوذا، أو حتى يسوع نفسه. لا يُنسبون أبدًا إلى مجرد أتباع أو رفقاء الرسل. لماذا؟ لأن مؤلفي الأنجيل الملققة هم الذين أرادوا إعطاء السلطة المطلوبة بشدة لكتاباتهم عن طريق نسبها زورًا إلى أشخاص لديهم أقرب صلات ممكنة بيسوع.

باختصار، فشلت نظرية الأنجيل المجهولة في تفسير ليس فقط عدم وجود أدلة مخطوطة ولكن أيضًا لماذا لا تُنسب إنجيلا مرقس ولوقا إلى شهود عيان ورفاق يسوع. في الواقع، عند إخضاعها للتدقيق النقدي، فإن اللامعقولية الكلية للنظرية تكون لافتة للنظر.

⁶⁶ Ehrman, How Jesus Became God, 90.

⁶⁷ Ehrman, Forgery and Counterforgery, 324–44. See also John P. Meier, A Marginal Jew: Rethinking the Historical Jesus, 4 vols., Anchor Yale Bible Reference Library (New Haven: Yale University Press, 1991, 1994, 2001, 2009), 1.112–66.

⁶⁸ يتم تجاهل هذه النقطة باستمرار من قبل العلماء الذين يزعمون أن الإسناد الخاطئ لمرقس ولوقا لا يمثل مشكلة. انظر، على سبيل المثال، Ehrman, in Forgery and Counterforgery, 51–52 حيث فشل في شرح سبب عدم قيام الكتبة بنسب الأنجيل إلى بطرس وبولس أنفسهم فقط بدلاً من تلاميذ بطرس وبولس.

